مجلة تدبر

البحث الثالث
الجزاء من جنس العمل
من خلال سورة المسد

د. علي بن عبد الله السكاكر

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

۞ حصل على درجة الدكتوراة من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور -جمعًا ودراسة-.

۞ حصل على درجة الماجستير من كلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحته: تحقيق كتاب هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن من الباب الحادي والثمانين إلى نهاية الجزء.

النتاج العلمي:

١- تحقيق رسالة في (أن نزول قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ....﴾ في المنافقين). للسيواسي ت ١٠٤٩.

٢- الصلة بين السياق وأسباب النزول دراسة تطبيقية.

٣- تقريب غريب القرآن بالوسائل الحديثة بين التأصيل والتطبيق.

٤- الملائكة في القرآن.

٥- معالم الرحمة في سيرة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

٦- الأساليب اللفظية البيانية في الروايات التفسيرية.

٧- الوسائل الإيضاحية في الروايات التفسيرية.

۞ البريد الإلكتروني: skakeer@gmail.com

مستخلص البحث

هذا بحثٌ يتعلق بأحد موضوعات التفسير الموضوعي، حيث يُبَيِّن للقارئ والمتدبر مدى بروز هذا الموضوع في آيات القرآن الكريم، وكيف رسَّخ الله ﷻ في كتابِهِ مبدَأ العَدالَةِ، وقضى بأنَّ المرء إنما يُجازَى بشيء من جِنْسِ عمله، وبما يُقابِلُ صَنِيعَهُ، ويماثل فِعْلَتَه، وأن هذه القاعدة من مواضع التدبُّر في القرآن، وقد استَنْتَجْتُ من خلال بحثي أن الأدلة على قاعدة «**الجزاء من جنس العمل**» قد تكون ظاهرة واضحة الدلالة، وقد تكون خفية يستخرجها مَن تأمل في كلام الله ودقق في هذا العلم وطالع كتب التفاسير؛ كما في سورة المسد، وهي من أخصر السور التي يتجلَّى فيها هذا المفهوم، لذا جعلتها موضع دراستي لهذا الموضوع المهمِّ، وهي ثَرِيَّةٌ بهذا المفهوم، حيث يستنبط منها في كل آية بل أحيانًا في الكلمة الواحدة -كـ(تبت)، و(اللهب)، و(جيدها) - قاعدة الجزاء من جنس العمل، وقد كان أبو لهب عَمُّ النبي ﷺ مِحْوَرَ هذه السورة، وسببَ نُزُولِها، فاستَعْرَضَت السورةُ عداوتَه وعداوةَ امرَأتِه للنبي ﷺ، وبيَّنَتْ أنهما يُجزَيان من تلك العداوة بما يجانس أذاهما له، وبعد انتهائي من البحث أحببت أن أوصي من عُنِي بهذا الفنَّ بالمزيد من البحث في هذا الموضوع والتفنن في إبراز صُوَرِه وحيْثِيَّاتِه، وأن يقارنوا هذه القاعدةَ بمَثِيلاتها من القواعد كقاعدة: «**المعاملة بنقيض القصد**» في دراساتهم الموضوعية، ثم أوصي أن يكون تناول هذا الموضوع أوسع للاستفادة منه في الخطب والمقالات والمواعظ.

الكلمات المفتاحية: الجزاء من جنس العمل - سورة المسد -تدبر- القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وسيدنا الرسول الأمين، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإنَّ قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** قاعدةٌ جَرَتْ على ألسِنة العلماء، ويستعملها الكثيرُ من الدُّعاةِ، يصِفُون بها حالَ مَن أصابته مصيبةٌ أو عقوبةٌ تُشْبِه أو تُضادُّ ما كان يعمله من ظلم ومعاصٍ وآثام.

والمتأمل في كثير من آيات القرآن الكريم يرى أنَّ هذه القاعدة لها شواهدها الكثيرة من آيات القرآن، ودلائلها الواضحة والمستنبطة في كثير من الآيات، إلا أن هناك بعض الآيات والسور لا يظهر فيها أن الجزاء من جنس العمل إلا بعد تأمل وتدبر تدبرًا دقيقًا للآية، فأحيانًا تكون خفيةً تحتاج إلى كشف وبيان، وذلك كما في سورة المسد، فأحببتُ أن أشارك بهذا البحثِ لكشف حقيقة هذه القاعدة المستنبطة من هذه السورة، وذكر شواهدها من القرآن، سواء في ذلك الشواهد الظاهرة الواضحة، أو الشواهد المستنبطة استنباطًا.

فأرجو من هذا البحثِ أن يسُدَّ -بإذن الله- هذه الثغرة من هذه الناحية، فيكون تفسيرًا موضوعيًا يدور حول موضوع معيَّن، يُؤَصِّله، ويُدَلِّل له، مع تطبيق ذلك على سورةٍ واحدةٍ من سُوَرِ القرآن الكريم، ألا وهي سورة المسد.

أهداف البحث:

يهدف البحثُ إلى تحقيق الآتي:

- تأصيل هذه القاعدة من خلال الأدلة القرآنية، وذلك بتفسير هذه القاعدة تفسيرًا موضوعيًا من خلال سورة المسد.
- استنباط أدِلَّةٍ على هذه القاعدة من ثنايا القرآن غير الأدلة المتداولة الظاهرة، فيكون في البحثِ تأطيرٌ للأدلة الظاهرة المتداولة بين الناس، واستنباطٌ لأدلةٍ أخرى غير ظاهرة، وهي قليلة التداول في الكتب وبين العلماء.
- بيان هذه القاعدة بيانًا واضحًا؛ حتى لا تُسْتَخْدم في غير معناها ومجالها الشرعي.
- تطبيق هذه القاعدة تطبيقًا تفصيليًا على سورة من سور القرآن، وهي سورة المسد.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار الموضوع؛ فهي على النحو التالي:

- ارتباط الموضوع بتدبر القرآن الكريم، الذي هو محورُ التفسير، ومنبع العلم، وأساس الهدى.
- عدم وجود الوضوح الكافي لهذه القاعدة عند كثيرٍ من الناس؛ فنراه يُطَبِّقُها في غير محلِّها الشرعي اللائق.
- عدم وجود البحث القرآنيِّ لهذه القاعدة من خلال سورة المسد، والذي يُعْطِي التصَوُّر الواضح لهذه المسألة من خلال آيات السورة.
- إرفاد المكتبة العلمية عامَّةً -ومكتبة التفسير الموضوعي خاصَّةً-

ببحث علميٍّ مُحَكَّمٍ ومُرَاجَعٍ من قِبَلِ المتخصِّصين بمسألة: **(الجزاء من جنس العمل)**.

◈ ملاحظاتي السابقة من خلال تدريسي للتفسير واطلاعي على كتبه؛ لاحظت أنَّ هذه السورة تتناول هذه القاعدة بشكل واضح.

◈ دراسة مِثل هذه المواضيع تُعين الدارسين والقارئين على الوصول إلى اليقين التامِّ بالعدل الإلهي.

أهمية الموضوع:

➢ إنَّ هذه الدراسة تُظْهِر كمال عدل الله تعالى، وذلك من خلال إبراز أنَّ جزاء الإنسان هو مِن جنس ما يعمله.

➢ هذه الدراسة تُقَوِّي العزائم، وتُنَشِّط الهمم للازدياد من الخيرات، وتبعث على المسارعة في الطاعات، وذلك لَمَّا يعلم العاملُ ما يواجهه من خيرٍ مُقابِلٍ لأعماله الخيِّرة.

➢ كما أنَّ هذه الدراسة تجعل العبادَ يبتعدون عن أنواع الشرِّ والفساد والمعاصي، وذلك لِما يتبيَّن لهم أنَّهم بصنيعهم سيواجهون عقوبةً مثلها تُجانِسها وتماثلها.

➢ أنَّ قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** كثُر استعمالُها مِن قِبَلِ كثيرٍ من المنتسبين للعلم الشرعي، ودار جدلٌ حولها في المجتمع، مِن ناحية صِحَّتِها وطريقة تطبيقها؛ فكان من المناسب أن يُشارك المتخصصون في تفسير القرآن الكريم في توضيح هذه القاعدة، وبيان أدلَّتِها، وكيفية تطبيقها على بعض النماذج لتقليل الخلاف أو قطعه إن أمكن.

- رغم وجود بعض المؤلفات عن هذه القاعدة؛ إلا أنَّ جانب التفسير الموضوعي فيها لم يُخْدَم، ولم يتَّضِح اتِّضَاحًا أكاديميًا؛ فهذه الدراسة ستسُدُّ -بإذن الله- هذه الثغرة.

- تَعَرَّضَ بعضُ المفسرين والباحثين لتفسير مقاصد سورة المسد ومحورها وموضوعها في ثنايا التفسير التحليلي أو الموضوعي، ولكني لم أجِد مَن ركَّزَ على أنَّ هذه السورة ترتكِز حول قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**؛ فهذا البحث سيُوَضِّحُ -بإذن الله- حقيقة هذا المقصد.

الدراسات السابقة:

لم يقِف الباحث على أي بحثٍ سابق أكاديمي -أو غيره- بهذا العنوان، بحسب ما وقف عليه بحثُه وخبرتُه في هذا المجال.

وهناك عدة كتب وأبحاثٍ قريبةٌ منها ولكنها تختلف عنها باختلافات عدة، من هذه الكتب:

☜ **الكتاب الأول:** الجزاء من جنس العمل، تأليف: الدكتور سيد حسن العفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

وهذا الكتاب تحدث عن **(الجزاء من جنس العمل)** في الشريعة عامة، فهو يتقاطع مع البحث الحالي من جهة العنوان العام.

ويختلف عن هذا البحث بأنَّه يُعَدُّ من أنواع التفسير الموضوعي، وأيضًا فإنه يبحث عن هذه المسألة في القرآن فقط دون غيره، وأيضًا يُطَبِّقُها على سورة المسد دون غيرها من السور.

☜ **الكتاب الثاني:** بلوغ الأمل في تقرير قاعدة: الجزاء من جنس العمل، لمحمد شومان، ١٤٢٣هـ.

وهو كالكتاب الأول؛ حيث يتحدث عن هذه المسألة وتقريرها من القرآن والسنة وكلام أهل العلم، فيتقاطع الكتاب مع البحث من هذا الجهة.

وبحثي هذا -كما سبق- هو في التفسير الموضوعي، وسيطبق هذه المسألة في ضوء سورة المسد، فيتمايز بحثي عن الكتاب من هذه الجهة.

☜ **وبحث ثالث بعنوان:** التفسير البياني لسورة (تبت يدا أبي لهب)، إعداد: الدكتور محمد رضا الحوري، الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة اليرموك.

يتقاطع هذا البحث مع البحث الحالي في أنَّ الدراسات البيانية تتناول بعض ما تتناوله دراسات التفسير الموضوعي من جهة بيان بعض مقدمات السورة، وبيان بعض المناسبات بين الآيات ونحوها.

وكما هو ملاحظٌ من العنوان فإنه في تفسير سورة المسد تفسيرًا بيانيًا، وبحثي هذا يُفَسِّرها تفسيرًا موضوعيا في ضوء قاعدة: الجزاء من جنس العمل؛ فبهذا يتمايز العملان.

☜ **وبحث رابع:** قدَّمه د. خالد السبت في مجلة الجامعة الإسلامية عن الجزاء من جنس العمل.

ويفترق بحث الدكتور خالد عن هذا البحث أنَّه تعرض لهذه القاعدة تعرُّضًا عامًّا، وبحثي تميَّز بتخصصه في علاقة هذه القاعدة بسورة المسد، كما أنَّ هذا البحث قسَّم الآيات الدالة على هذه القاعدة تقسيمًا يختلف عن تقسيم الدكتور خالد.

كما أنَّ السورة قد تعرَّضَت لها الكتب التي فسَّرت كامل القرآن تفسيرًا موضوعيًا؛ كسلسلة عبد الحميد طهماز، والمعنونة بالتفسير الموضوعي

للقرآن الكريم، وسلسلة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، والصادرة عن جامعة الشارقة.

وهذه الدراسات الموضوعية تتفق مع البحث الحاضر في كونها تفسيرًا موضوعيًا لتفسير سورة المسد.

وهذا البحث يتميز عن هذه الدراسات بكونه يُؤَصِّل لمسألة **(الجزاء من جنس العمل)**، ويطبقها على سورة المسد تطبيقًا مُفَصَّلًا.

خطة البحث

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

المقدمة، وتحتوي على: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث، والمنهجية المتبعة في البحث.

وأما التمهيد فيحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المطلب الثالث: بعض الأدلة الخفية لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المبحث الأول: (بين يدي سورة المسد)، ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: سبب نزول السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-.

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة.

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد.

المبحث الثاني: (استنباط قاعدة الجزاء من جنس العمل من خلال آيات السورة)، يحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾، ﴿وَتَبَّ﴾.

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾.

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾.

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾.

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾.

ثم الخاتمة، وفيها أهم الهدايات والنتائج والتوصيات.

ثم الفهارس، وتشمل: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث

سيتبع الباحثُ في أثناء كتابة هذا العمل الآتي:

- **المنهج الاستنباطي:** وذلك عند تفسير الآيات تفسيرًا تحليليًّا يتجلَّى لنا فيه التفسير الموضوعي بما يتناسب مع قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، واستنباط العلاقة بين آيات سورة المسد وهذا الموضوع، واستنباط صلة الآيات ببعضها.

- موضوع **(الجزاء من جنس العمل)** يدخل ضمن دائرة التفسير الموضوعي، ولكن هذا الموضوع لن يُفْهَم في كثير من الآيات إلا بعد فهم المعنى الإجمالي للآية، أو المعنى التحليلي، لذلك فسَّرْتُ جميع الآيات تفسيرًا تحليليًّا ليكون البحث على طريقةٍ واحدة.

- كتبت الآيات بالرسم العثماني بواسطة برنامج المصحف الإلكتروني، وعزوتها إلى سورتها ورقمها بجانبها.

- كتبت البحث بحسب القواعد الإملائية الحديثة.

- عزوت الأحاديث الشريفة والآثار باختصار إلى مخرجيها باتباع القواعد المعروفة في هذا الشأن.

- رفدتُ البحث بفهرسين يُوَضِّحان مراجع البحث وموضوعاته.

- مراعاة قواعد البحث العلمي العامَّة.

التمهيد

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

المطلب الثالث: بعض الأدلة المستنبطة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن.

۞ المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية:

بحسبِ ما تتبعتُ من كلام العلماء في التعبير بهذه العبارة، أي: (الجزاء من جنس العمل)، فمن الممكن تقسيمُ هذه القاعدة إلى قسمين رئيسين:

◆ **القسم الأول:** معنىً عامٌّ كُلِّيٌّ، يُقْصَدُ به أنَّ مَن عَمِلَ سوءًا وشَرًّا فجزاؤه سوءٌ وشَرٌّ، ومَن عَمِلَ خَيْرًا فجزاؤه خير.

والآيات والأحاديثُ الدَّالَّةُ على هذا المعنى كثيرة جدًّا، وهي قاعدة مستقرة في الشريعة[١] عامَّة لا تنخرم[٢]، وهي من هذه الجهة تكون وجهًا آخر للعدل الإلهي الذي يُحاسِبُ كُلًّا بما عمله.

قال ابن تيمية بعد أن ذكر مجموعة من الآيات والأحاديث الدالة على هذه القاعدة: «ومثل هذا في الكتاب والسنة كثيرٌ يُبَيِّن فيهما أن الجزاء من جنس العمل»[٣].

(١) إمتاع الأسماع (١١/ ١٦٧).

(٢) زهرة التفاسير (٣/ ١٣١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٣).

ومما يدل على هذه القاعدة العامَّة قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧،٨]، وقرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لهذه الآية الجامعة الفاذَّة أن الجزاء من جنس العمل(١)، ففي هذه الآية بيان القانون الأمثل للعدل، وهو أن الجزاء من جنس العمل(٢).

ومما ورد من كلام العلماء في تقرير هذا المعنى قول الشيخ الشنقيطي: «الجزاء من جنس العمل، فجزاء العمل البالغ غاية القبح بالنكال العظيم، جزاء وفاق واقع موقعَه، فسبحان الحكيم الخبير الذي لا يضع الأمرَ إلا في موضعه، ولا يوقعه إلا في موقعه»(٣).

ومن الآيات الدالَّةِ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [النساء:١١١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٤٧] أي: ما يُجْزَون إلا ما كانوا يعملون من الشرك والظلم والشر والفساد؛ إذ الجزاء من جنس العمل هو العدل المطلوب(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

◆ القسم الثاني: استخدام هذه القاعدة في معنىً خاصٍّ، يُفهَم منه معنى مقابلة العمل بجزاءٍ مثله، كمقابلة الرحمة بالرحمة، والعفو بالعفو، والتعذيب بالتعذيب، والاستهزاء بالاستهزاء، ونحو ذلك.

وهذا المعنى الثاني هو الذي ينبغي أن تدور عليه البحوث والمؤلَّفات العلمية التي تبحث عن المعاني والمسائل الجديدة، وهو الذي سيدور عليه هذا البحثُ، حيث إنَّ المعنى الأول هو معنى عامٌّ لا يخفى على أحد، إلا فيما

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الرابع، التفسير (ص٩٧، ٣٧٧).
(٢) زهرة التفاسير (٣/ ١٥٥٣)، والتفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ٩٨٠).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٢٦٩).
(٤) أيسر التفاسير (٤/ ٣٢٣).

بَدَرَ من بعض المشركين الذين زعموا أنهم لو قدموا على الله فإنهم سيجدون الخير والمال كما وجدوه في الدنيا، كما قال صاحب الجنة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦]، وأما المعنى الثاني هو الذي يحتاج أن يُنظر فيه ويُتأمَّل.

فقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** في قسمها الثاني تدلُّ على معنىً أخصَّ وأدقَّ، يُحتاج أن تنصبَّ الدراسات الشرعية حولَه؛ لاستنباطه واستخراجه، ووضع قواعده، وتأصيله، وتأطيره.

يقول صاحب التفسير القرآني للقرآن: «وليس من الحتم اللازم، بل ولا من المطلوب المستحبّ أن يكون الجزاء من جنس العمل، كمًّا ونوعًا وكيفًا، فقد يكون العمل ماديًّا وجزاؤه روحيًّا نفسيًّا، وقد يكون من نوع ما ويكون جزاؤه مماثلًا له ولكن من نوع آخر، ثم قد يكون كمًّا من نوع معيّن فيقع جزاؤه مُوَزَّعًا في أنواع متعددة من الجزاء.

وفي الحياة الدنيا شواهد كثيرة لهذا، في جانب الأعمال الصالحة، وفي جانب الأعمال السيئة، على السواء... إلى آخر كلامه[1].

وتقرير هذه القاعدة بمعناها الثاني من الممكن أن يستفاد منها في الشريعة الإسلامية في أمور:

١ - استفادة الحكام والأمراء والقضاة من هذه القاعدة في الثواب والعقاب، فمِن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاهد الزور: أنه أمر بإركابه دابةً مقلوبًا وتسويد وجهه[2]. وذلك أنه لَمَّا قلب الحديث قَلَّبَ عُمَرُ رضي الله عنه وجهه، ولَمَّا سَوَّد وجهَه بالكذب سَوَّدَ عُمَرُ رضي الله عنه وجهه حقيقةً.

(١) التفسير القرآني للقرآن (٦/ ٩٣٨-٩٣٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق (ح١٥٣٩٢) بلفظ مقارب، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (ح٢٤٠٠).

يقول ابن القيم: «ولهذا كان أصح الأقوال أنه يُفْعَل بالجاني مثل ما فَعَلَ بالمجنيِّ عليه، ما لم يكن مُحَرَّمًا لحقِّ الله؛ كالقتل باللواطة، وتجريع الخمر ونحوه، فيُحرَّق كما حَرَّق، ويُلْقَى من شاهق كما فعل، ويُخنق كما خَنَق؛ لأن هذا أقرب إلى العدل، وحصول مُسَمَّى القصاص، وإدراك الثأر، والتَّشَفِّي، والزَّجر المطلوب من القصاص»[1].

٢- ومن فائدة معرفة أن الجزاء من جنس العمل: أنَّ الإنسان يَتَّعِظُ بذلك، ويخشى أن يُعاقَب بنفس ما يفعل ويقول.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوَّل كلبًا»[2].

وقال عمرو بن شرحبيل: «لو رأيت رجلًا يرضع عنزًا فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذي صنع»[3].

٣- وهناك فائدةٌ عقديَّةٌ من معرفة هذه القاعدة، وهي أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كثيرًا ما يُعَبِّر عن العقوبة بلفظة مساويةٍ أو مجانسة للعمل الذي يستحق العقوبة، رغم أنَّه لا يحمل نفس المعنى، وإنما يكون ذلك من باب المشاكلة وبيان قاعدة: **(الجزاء من جنس العمل)**، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] فمثل هذا التعبير يُراد به المماثلة بالفعل، فتسمية المجازاة اعتداءً من باب المشاكلة حتى يكون الجزاء من جنس العمل[4].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (ص٢٥٦ ح٧٤١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٣١، ح٢٥٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم البغي (ص٨٦، ح٣٤).

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٤٨).

وكذلك قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء:١٤٢]، ونحو ذلك.

٤- ومما يُستفاد من هذه القاعدة: كيفية تعامل المسلم مع الله ومع الآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، فكما أنَّ الله أحسن إليك فأحسِن إلى غيرك[(١)].

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن:

لقد دلَّت كثيرٌ من نصوص القرآن على هذه القاعدة العظيمة -الجزاء من جنس العمل- دلالةً صريحة واضحة، لا تخفى على قارئ هذه النصوص، وذكر ابن القيم أنَّ الأدلة على هذه القاعدة تفوق مائة دليل[(٢)].

ومن هذه الأدلة الظاهرة قوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فلم يقل: سيجزون العقاب؛ إشارةً إلى أن الجزاء من جنس العمل[(٣)].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ [الروم:١٠].

وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠]. وقال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، وقد جاءت هذه الآية على صورة الخبر المُضَمَّن معنى الأمر.

(١) انظر ما قاله ابن القيم في بدائع التفسير (٢/ ١٧٢).
(٢) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣١٢).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١٨).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، لذلك رأى بعض العلماء أن توبة المبتدع نادرة وقليلة، فلا يكاد المبتدع ينتقل من بدعة إلا إلى بدعة شر منها، لأنهم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء:٧٢]، فمَن عَمِي عن اتباع الحق فلم يقبله ولم يَنقَدْ له؛ كان أعمى في الآخرة عن سلوك طريق الجنة كما عَمِي عن سلوك طريقها في الدنيا[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، قال ابن القيم: «وقد اطَّردت سُنَّته الكونية سبحانه في عباده، بأنَّ مَن مكر بالباطل مُكِر به، ومن احتال احتِيل عليه، ومن خادع غيره خُدِع... فلا تجد ماكرًا إلا وهو ممكورٌ به، ولا مُخادعًا إلا وهو مخدوع، ولا مُحتالًا إلا وهو محتالٌ عليه»[٣].

المطلب الثالث: بعض الأدلة الخفية لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن:

إنَّ الأدلة الخفيَّة المستنبط منها قاعدة (الجزاء من جنس العمل) هي التي ينبغي أن تُفْرَد بالبحوث والدراسات العلمية؛ نظرًا لأنَّها لا تظهر لقارئ القرآن

(١) البدعة: ضوابطها وأثرها السيء في الأمة (ص١٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٦٣).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٦٠).

من الوهلة الأولى، بعكس الأدلة الظاهرة، فلذلك سأتناول الحديث عن هذا الجانب قليلًا دون إطالةٍ؛ فإنَّ البحث لم يُوضَع أساسًا لتحقيق هذه الجزئية.

وسيتمُّ الحديث عن الأدلة الخفية من جهةِ ما يكون في الدنيا، ومن جهة ما يكون في الآخرة، مُرَتَّبًا بحسب الآيات القرآنية، دون الدخول في التفاصيل.

أ- تطبيق قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في الدنيا:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥]، فإنَّ هؤلاء المعتدين في السبت فعلوا فِعْلًا ظاهِرُهُ الإباحة والحل، وهو محرم، وذلك أنه حرم عليهم الصيد يوم السبت، وكان البحر يَمْتَلِئُ بالحيتان يوم السبت، وتختفي في غيره من الأيام، فصاروا ينصبون الشباك يوم الجمعة ويرجعون يوم الأحد لأخذها، وتأتي الحيتان يوم السبت فتدخل الشباك فيأخذونها يوم الأحد، فعملوا عملًا ادَّعوا أنه في ظاهره مباح، حيث إنهم لم يعملوا شيئًا يوم السبت، وهو في حقيقته محرم وحيلة؛ فكان جزاؤهم من جنس العمل، وذلك أنَّ الله مسَخَهم إلى حيوان يشبه الإنسان وليس بإنسان؛ كما أنَّهم احتالوا بحيلة جعلوا عملهم فيها يشبه الحلال وليس بحلال(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال ابن القيم: والسر في ذلك: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله(٢).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٦٢)، وتفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٢٣١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٤٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] فلمَّا مَدَّ يده للسرقة كان جزاؤه أن شُرِع قطعها[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [الأعراف: ٧٨]، فبسبب أن بواطنهم كانت متزلزلة تجاهَ الحقِّ، لا يستمعون إليه، عُوقِبُوا بالزلزلة والرجفة[٢].

ويدخل في ذلك قصة أصحاب السبت، حيث إنَّ الساكتين عن الإنكار سكت الله عنهم، فنصَّ الله على نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لم يستحقوا مدحًا فيُمْدَحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيُذَمُّوا[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] كان هذا الجزاء من جنس العمل، فكما أنهم صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صُدُّوا عنه، وكما أجلَوْهم من مَكَّةَ أُجْلُوا منها[٤].

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]، أي: كان إيمانك بظاهرك لا بباطنك، فنجا ظاهرُ جسدِك ولم تنجُ روحُك الباطنة، فالجزاء من جنس العمل[٥].

ومِن ذلك ما حصل لقوم لوطٍ؛ فلكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث، فكان الجزاء من جنس العمل، قَلَبَ اللهُ عليهم قُرَاهم[٦]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [هود: ٨٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١١٩).

(٢) حدائق الروح والريحان (٢١/ ٤١١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٧).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٩).

(٥) نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص٢٠٤).

(٦) أضواء البيان (٨/ ٢٥٩).

ب- تطبيق قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في الآخرة:

مِمَّا يكثر في القرآن توعُّد الكافرين بالخلود في النار، وذلك لأن الأعمال بالنية، فقد كانوا في الدنيا عزموا على الثبات على هذا الكفر ما بقوا، ولو بقوا مدةً لا آخر لها، فكان الجزاء من جنس العمل، وبقوا في النار خالدين فيها[1]، قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ كَلَآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، حجبهم الله عن كرامته التي أكرم الله بها المؤمنين من رؤيته، وهذا يناسب ما حجبوا به أنفسهم من الرَّانِ الَّذي غطَّى على قلوبهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤][2].

وفي قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] في هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ الله يُجازِي الناس بجنس أعمالهم، فإنَّ النفقات في سبيل الله على الخير تتنوع، فبعضُها يكون طرق الخير فيها قليلة، وبعض طرق الخيرات يترتب على الإنفاق فيها منافع متسلسلة، ومصالح متنوعة؛ فكان من المناسب أن يُضاعف اللهُ لهم بحسب ما تضاعف أثرُ نفقاتِهم[3].

في قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء:٣٧، ١٥١] تُوُعِّدوا بالعذاب المهين مقابل ما كانوا يرتكبونه من إهانة المؤمنين وإذلالهم، فجاء الجزاء من جنس عملهم[4].

---

(١) نظم الدرر (٧/ ٢٦٨).

(٢) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن (ص١١٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٥٦).

(٤) أيسر التفاسير (١/ ٥٦٦).

وفي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦] فيه أنَّ أصحاب الجلود تجدد لهم جلودهم ليدوم لهم تجدد ذوق العذاب، كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء:١٦١] أي: بسبب ما آلموا الناس بأكل أموالهم وحقوقهم عاقبهم الله بالعذاب الذي يؤلمهم في الآخرة(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:٤٠] في هذه الآية يخبر تعالى عن عقاب مَن كذَّب بآياته فلم يؤمن بها واستكبر عنها، أنهم آيسون من كل خير، فلا تُفْتَح لهم أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لهم، وهذا من باب الجزاء من جنس العمل، فكما أنها لم تصعد أرواحها في الدنيا إلى الله بالإيمان به ومعرفته ومحبته؛ فكذلك لا تصعد بعد الموت(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]، المراد: أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، فلما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم، كان جزاؤهم من جنس عملهم، فأحاطت بهم النار من كل جهة(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٤٧] فيه إشارةٌ إلى أنَّهم عندما رأوا الآيات الدالة على صدق ما جاءت به الرسل، ثم أبطلوها، كان جزاؤهم من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٠٦).
(٢) نظم الدرر (٥/ ٥٠١).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٨٨).
(٤) الجنة والنار (ص١٠١).

جنس عملهم، وذلك بإبطال وإحباط ما كانوا يعملون، حتى وإن كان فيه شيء من الخير[١].

وفي قصة هلاك فرعون وجهٌ خَفِيٌّ في مسألة الجزاء من جنس العمل، حيث كان فرعون يفتخر بالماء وجريان الأنهار من تحت قصره، فأجرى الله الماء من فوقه[٢].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ابن رجب: «وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانًا في الآخرة»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٰٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤] إشارةٌ خَفِيَّةٌ إلى قاعدة (الجزاء من جنس العمل) فإنَّ قوم شعيب عندما أرادوا بخس أموال الناس وإنقاص أموالهم عن طريق إنقاص المكيال والميزان؛ هدَّدهم الله بإنقاص أموالهم والخير الذي هم فيه، وذلك في قوله تعالى على لسان شعيب: ﴿إِنِّىٰٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾، أي: فلا تتسببوا إلى نقص أموالكم بنقص أموال الناس[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٦، ٩٧] عندما نَبَذَ نُبِذَ، فإن الابتعاد عنه في الحياة الدنيا

(١) نظم الدرر (٨/ ٨٤).
(٢) روح البيان (٨/ ٤١١).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٨٨).

هو نَبْذٌ مَعْنَوِيٌّ، وكان ذلك مقابلةً للنبذ الحسيِّ الذي فعله؛ فكان الجزاء من جنس العمل[1].

وفي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان:٧٥] فيه جزاءٌ من جنس عملهم؛ فإنَّهُم عندما كانت همتهم عالية، ومطالبهم سامية، عندما دعوا الله بقولهم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤] جازاهم الله بالمنازل العالية في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾؛ فإن الغرفة: هي المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧] هو جزاءٌ من جنس عملهم، فإنهم عندما أخفوا أعمالهم حينما كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع في ظلمة الليل، أخفى الله لهم الثواب عن غيرهم، جزاءً وفاقًا. قال الحسن البصري: أخفى قومٌ عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر[3].

وفي قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان:٧٧] فيه أنَّهُم لازموا الكفر والتكذيب في الدنيا، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، فلازمهم العذاب في الآخرة لا يُفارقهم أبدًا[4].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] فيه الجزاء من جنس العمل، حيث إنَّ كُلَّ عمل من الأعمال الصالحة يمكن عدُّها وحصرها، إلا الصبر؛ فإنه دائم مع الأنفاس، وهو معنى من المعاني الباطنة التي لا يطلع عليها الناس، ولا يعلمون مقدارها، فكان من المناسب أن يكون أجرها بغير حساب[5].

---

(١) روح المعاني (٨/ ٥٦٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٨٧)، وتيسير اللطيف المنان (ص٦٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ح١٧٨٤٢).

(٤) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٢٨).

(٥) نظم الدرر (١٦/ ٤٧٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر:٦] بيان أن الجزاء من جنس العمل، حيث إنهم في الدنيا عندما دعاهم النبي ﷺ للإيمان والتوحيد أعرضوا، فكان جزاؤهم يوم القيامة عندما يحتاجون شفاعته والإيمان به أن يُعرض عنهم(١).

وفي إجلاء بني النضير المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ [الحشر:٣] إشارةٌ إلى هذه القاعدة العظيمة، حيث إنهم قصدوا قتل النبي ﷺ، فعاقبهم الله بإجلائهم الذي هو شرٌّ مِن ألف قتل، فأُخِذوا بالجلاء ليموتوا كل يوم ألف مرة؛ لأنَّ انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج:١٥-٢١] يقول فاضل السامرائي: «هناك لمسة فنية لطيفة في اختيار نوع العذاب في هذا السياق، ذلك أنه قال: ﴿ كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾، ومن معاني الشوى: جلد الإنسان، فهي -أي: جهنم- تنزع جلد الإنسان، وتُبقي الأحشاء بلا جلد، والجلد للأحشاء كالوعاء للمال، يُحفظ ما في داخله، فإن هذا الشخص كما أوعى ماله ومنع حقه سيمزقُ اللهُ وعاء جسمه، ويخرج ما في داخله، ولا شكَّ أن جلده ووعاء نفسه أحبُّ إليه من المال ومن كل شيء، ألا ترى أنه يُقال للمطلوب: انجُ بجلدك! فانظر التناسق الجميل بين المعصية والعذاب، والجزاء من جنس العمل»(٣).

(١) نظم الدرر (١٩/ ٩٩).

(٢) روح البيان (٩/ ٤٢٢).

(٣) لمسات بيانية في نصوص التنزيل (ص١٦٠).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق:١٠] عاقبه الله بإعطائه الكتاب وراء ظهره، جزاءً له من جنس عمله، حيث إنَّه في الدنيا جعل كتاب الله وراء ظهره، فأعطي كتابَه يوم القيامة من وراء ظهره جَزَاءً وِفَاقًا[١].

وفي سورة الأعلى قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [الأعلى:١١-١٣] فالآيات تدلُّ على قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** من جهة أنهم كانوا في الدنيا يحيون حياة ليست بحياة نافعة، وليست هي الحياة التي خلقوا لأجلها، بل كانوا يعيشون حياة من جنس حياة البهائم، ولم يكونوا في الدنيا أمواتًا عديمي الإحساس، فجمعوا في الدنيا بين الحياة المقابلة للموت، والموت المعنوي المقابل للحياة الحقيقية النافعة؛ فجمع الله لهم ذلك في الآخرة، حيث كانوا في النار لا يموتون فيرتاحون، ولا يحيون حياةً حقيقية نافعة[٢].

وفي قوله تعالى في سورة الهمزة: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:٤] إشارة إلى هذه القاعدة؛ فإن الهمز من شأنه كسر أعراض الناس وقلوبهم وخواطرهم، فكان من المناسب لهذا الهامز اللامز أن يُرمى ويطرح في النار التي تحطم وتكسر كل من يقع فيها[٣].

وفي سورة الهمزة ذُكِر الكافر الذي يجمع المال ويُعَدِّده في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة:٢]، فهذا يحفظ المال ويغلق عليه الأبواب، ويستوثق من حفظه؛ فلأجل ذلك أُغْلِقَت عليه أبواب جهنم، واستوثق منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨، ٩][٤].

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٤٢، ٣/ ١٨١).
(٢) الحسنة والسيئة (ص٦٧)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٠٦، ١٤/ ٢٩٧).
(٣) مراح لبيد (٢/ ٦٦٢).
(٤) لمسات بيانية في نصوص التنزيل (ص٢٨١).

المبحث الأول

بين يدي سورة المسد

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: سبب نزول السورة.

المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-.

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة.

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد.

۞ المطلب الأول: سبب نزول السورة:

إنَّ معرفة سبب نزول السورة ينبني عليه معرفةُ الوجه العامِّ لكون هذه السورة مبنيةً على أنَّ الجزاء من جنس العمل.

وأبو لهب عمُّ النبي ﷺ هو محور هذه السورة وسبب نزولها، وقد كان من أشدهم عدوانًا عليه، وأكثرهم أذىً له؛ فهو أول من رد عليه أمام الأشهاد، وكل هذا على غير تقاليد الجاهلية الذين عرف عنهم الحمية.

وقد دخلت معه امرأته أم جميل في هذه العداوة، حيث جرَّها جرًّا إلى تلك المعركة التي يخوضها ضد ابن أخيه، ولهذا كان الرجل الوحيد من قريش الذي ذكره القرآن بكنيته، وأعلن في العالمين عداوته لله، وغضب الله عليه، ووقوع بأسه وعذابه به، وذلك ليكون لعنةً على كل لسان إلى يوم الدين، لا يذكر اسمُه إلا ذُكِر مدموغًا باللعنة والتَّباب، مرجومًا بالشماتة والازدراء، تتبعه امرأته مشدودة إليه بحبل مِن مسد، كما كانت مشدودة إليه في الدنيا بحبل عداوتهما للنبي ﷺ، وحسدهما له[1].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥١٤).

وقد وردت عدة روايات وحكى العلماء عدة حكايات عن سبب نزول هذه السورة، وهي:

➢ الرواية الأولى لنزول السورة:

أنَّ هذه السورة نزلت بعدما جمع النبي ﷺ أقاربه وعشيرته ليدعوهم إلى الإسلام، فقال له أبو لهب: (تَبًّا لك).

ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] صَعِد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فِهْر، يا بني عَدِيٍّ**» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حتى اجتمعوا، فجعل الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتُكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تُرِيد أن تُغِير عليكم، أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**». قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلَّا صِدْقًا. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تَبًّا لك سَائر اليوم، أَلِهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [(١)].

وللقصة روايات كثيرة تختلف فيها ألفاظُها زيادةً ونقصًا[(٢)]، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الروايات مجمعةٌ على أنَّ أبا لهب قال للنبي ﷺ: (تَبًّا لك)، والتي تتمحورُ حولها كون السورة نزلت جزاءً لما قاله أبو لهب.

وهذه الرواية صحيحةٌ قطعًا، بل إنَّه قد يُقال فيها: إنها وصلت حد التواتر، فلذلك قدَّمتُها على الروايات الأخرى.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١١١، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ح٤٧٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٠٤، باب ذكر شرار الموتى، ح١٣٩٤)، وانظر الأحاديث المرقمة بـ(٤٨٠١)، و(٤٩٧١)، و(٤٩٧٢)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٣، ح٢٠٨)، وغير ذلك من كتب التفسير والحديث، وليس هذا موضع استقصاء ذلك؛ فإنَّه كثيرٌ.

➢ **الرواية الثانية:**

أنَّ أبا لهب طلب من النبي ﷺ أن يكون له شيء خاصٌّ به إن هو أسلم، فلم يرضَ النبي ﷺ بذلك، بل قال إنه سيكون من عامَّة المسلمين، فغضب من ذلك وقال له عبارة (تَبًّا).

قال عبد الرحمن بن زيد، في قول الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ قال: قال أبو لهب للنبي ﷺ: ماذا أُعْطَى يا محمد إن آمنتُ بك؟ قال: «**كما يُعْطَى المسلمون**»، فقال: ما لي عليهم فَضْلٌ؟ قال: «**وأيُّ شَيْءٍ تبتغي؟**». قال: تبًّا لهذا مِن دِينٍ تبًّا أن أكون أنا وهؤلاء سواء. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١).

وذكر مقاتل قصة هذه الدعوة دون طلب أبي لهب، فقال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] -يعني: بني هاشم، وبني المطلب، وهما ابنا عبد مناف بن قصي- قال النبي ﷺ: «**يا علي، قد أُمِرْتُ أن أُنذِر عشيرتي الأقربين، فاصنع لي طعامًا حتى أدعوهم عليه، وأنذرهم**». فاشترى عليٌّ رِجْلَ شاةٍ، فطبخها، وجاء بعُسٍّ (٢) من لبن، فدعا النبيُّ ﷺ بني هاشم وبني المطلب إلى طعامه، وهم أربعون رَجُلًا غير رجل، على رِجْلِ شاةٍ وعُسٍّ من لبن، فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رَوَوا. فقال أبو لهب: لهذا ما سحركم به، الرجال العشرة منا يأكلون الجذعة، ويشربون العس، وإن محمدًا قد أشبعكم أربعين رجلًا من رِجْلِ شاة، ورواكم من عُسٍّ من لبن، فلما سمع ذلك منه رسول الله ﷺ شَقَّ عليه، ولم ينذرهم تلك الليلة، وأمر النبيُّ عليًّا أن يتخذ لهم ليلة أخرى

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٤). وقال صاحب الاستيعاب (٣/ ٥٧٦): «ضعيف جداً».

(٢) العُسُّ -بضم المهملتين وتشديد السين- قَدَحٌ كَبِير، يجمَع على: عِساسٍ وأعْساس، ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٩١١) [عسس].

مثل ذلك، ففعلوا فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا، فقال النبي ﷺ: «**يا بني هاشم، ويا بني المطلب، أنا لكم النذير من الله، وأنا لكم البشير من الله، إني قد جئتكم بما لم يجئ به أحد من العرب، جئتكم في الدنيا بالشرف، فأسلموا تسلموا، وأطيعوني تهتدوا**». فقال أبو لهب: تبًّا لك يا محمد سائر اليوم، لهذا دعوتنا؟ فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١).

ونُلاحِظُ في هذه الرواية أمورًا:

- أنها ضعيفة.
- وعلى فرض صحتها يُمكِن أن يُقال: إنَّه قد حصلت القصتان: الواردة في الرواية الأولى، والواردة في هذه الرواية، فلا مانع من ذلك.
- وعلى فرض حصول القصتين؛ فهل حصلت القصتان ثم نزلت هذه السورة؟ احتمالٌ؛ لأنَّ الروايتين من باب سبب النزول الصريح.
- وعلى كُلِّ حالٍ فإن الروايتين صالحتان للتمثيل بهما لمبدأ **(الجزاء من جنس العمل)**.

الرواية الثالثة:

هو خاصّ بما كانت تفعلُه زوجة أبي لهب.

عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد: أن امرأة أبي لهب كانت تُلْقِي في طريق النبي ﷺ الشوكَ، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ (٢).

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٦/ ٣٢٨) إلى ابن مردويه، وتفسيره مفقود، لذا فإني لم أقف على إسناد له البتة حتى أعرف حكمه، وانظر أيضا تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣-٩١٤).

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٩). وقال صاحب الاستيعاب (٣/ ٥٧٦): «ضعيف».

ويُلاحظ على هذه الرواية الأمور التالية:

◈ أنَّ الأثر ضعيف.

◈ أنَّه لا يتعارض مع الأثرين السابقين؛ فالأثران السابقان في نزول السورة كاملة أو مطلعها، وهذه في نزول ما يتعلق بزوجة أبي لهب.

◈ ويُمكِن الجمعُ بين الآثار الثلاثة بأنَّ القصص الثلاثة على فرض صحتها حصلت في أزمنةٍ متقاربة؛ فأنزل الله ﷻ هذه السورة في الجميع.

۞ المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر -السورة التي قبلها-:

يرى بعضُ العلماء أنَّ سورة الكافرون، وسورة النصر، وسورة المسد؛ يتصل بعضُها ببعضٍ اتصالًا وثيقًا.

فسورة الكافرون ذكرت انقسام الناس إلى فريقين، فريقٌ فيه محمد ﷺ ومن مَعه من المؤمنين، وهم الذين آمنوا بالله وحده، وصَرَّحوا بنفيِ عبادة الشركاء والأضداد، وفريقٌ أشرك مع اللهِ غيرَه، وفعل عكس ما فعل الفريق الأول.

ثم لما انتهت السورة كان هناك سؤالٌ يُلِحُّ على القارئين والسامعين، ومضمون هذا السؤال: يا ربَّنا، فما جزاء مَن عبدك وحْدَك وتبرَّأ من الشرك؟ وما عِقَابُ من أشرك بك ولم يؤمن؟

فجاءت الإجابة بانتصار المسلمين لمَّا نصروه كما في سورة النصر، وبهلاك المشركين متمثلًا ذلك في صورة رأس من رؤوسهم، وهو أبو لهب. وكأن في المناسبة دلالة خفية على الجزاء من جنس العمل

ونظير ذلك ما في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥]، فيأتي هنا

سؤالٌ: فما جزاء مَن تبتليه يا الله فيطيعك، ومَن تبتليه فيعصيك؟ فجاءت الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن عصاه، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لِمَن أطاعه[1].

ويمكن أن يُقال في المناسبات بين السورتين: إن سورة المسد كانت في أول الإسلام ردًّا على مَن كان يؤذي النبي ﷺ بالقول والفعل؛ مما يجعل بعض الناس ينفرون من التمسك بالدين عندما يرون ما يحصل لهم من الإيذاء، وسورة النصر كانت في آخر الإسلام عندما قويت شوكة المسلمين، وجاءت مبشرة بفتح مكة، نفس البلد الذي كان رسول الله ﷺ يُؤْذَى فيه، بعد أن مات عدوَّاه اللذان آذاه، وبقي هو ﷺ عزيزًا كريمًا، وبقي دينُه.

❁ المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة:

إنَّ مطلع السورة كان يتحدث عن تباب أبي لهب، وهو هلاكه وخسارته أتمَّ خسارةٍ.

والعربُ مِن عادتهم الحمية والدفاع عن أهليهم وأزواجهم وحريمهم، ويعتبرون ذلك من الشرف الذي لا يدانيه شرف، فرغم المشاكل والمصائب التي تصيب الإنسان إلا أنَّه يبقى حريصًا على عدم جعل أهله يحصلون على نفس المشكلة.

ولكن لـمَّا كان أبو لهب قد أشرك أبناءَه وأهلَه معه في أذية النبي ﷺ، عُوقِبَ بأن جُعِلُوا جزءًا من عذابه وعقابه، فوردوا معه النار، ولم يُكْتَفَ بذلك، بل حُقِّرَت زوجتُه تحقيرًا بارزًا، وصُوِّرَت تصويرًا شنيعًا؛ زيادةً في هتك سترها الذي يتعدَّى إلى هتك ستره وحرمته، تأكيدًا لمعنى تبابه وخسارته وهلاكه، حتى أحاط هذا الخسران والهلاك بأهله وزوجته.

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٤٨). وانظر: البحر المحيط (١٠/ ٥٦٥)، ونظم الدرر (٢٢/ ٣٢٨).

وفي ذلك إشارة إلى أن خلطة الأشرار غاية الخسار، والطبع وإن كان جيدًا فإنه يسرق من الرديء، فكيف إذا كان الطبع رديئًا ووافق قرينًا رديئًا[1].

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد:

إنَّ دوران هذه السورة حول قاعدة (الجزاء من جنس العمل) كان حاضرًا في أذهان المفسرين والعلماء المتقدمين، ولم يَنُصُّوا على ذلك صراحة، ولكن كان ذلك حاضرًا في أقوالهم في ثنايا تفسيراتهم.

وأردتُ أن أؤيد في هذا المطلبِ ما ذكرتُه من مركزية قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في هذه السورة، مُسْتَحْضِرًا بذلك بعضَ النصوص التي لفتَ العلماءُ المتقدمونَ الأذهانَ إليها؛ عن طريق عباراتٍ صريحة أو قريبة من الصريحة تُشير إلى هذا المعنى، وسأذكر شيئًا من هذه العبارات هُنا، وسيمُرُّ على القارئ بعضُ العبارات الأخرى في ثنايا المباحث القادمة.

قال السمعاني: «المُرَاد من الْآيَة أَنَّهَا كَانَت تحمل الْحَطب بِحَبل من مسد فِي عُنُقهَا، فَذكر الله تَعَالَى ذَلِك على أحد وَجْهَيْن: إِمَّا لبَيَان تخسيسها وتحقيرها، أَو لِأَنَّهَا عيرت رَسُول الله ﷺ بالفقر فابتلاها الله تَعَالَى بِمَا هُوَ من عمل الْفُقَرَاء»[2].

وقال الزمخشري: «يحتمل أن يكون المعنى: أنَّ حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبلٌ مِن ما مُسِد من سلاسل النار؛ كما يُعَذَّب كل مجرم بما يجانس حالَه في جرمه»[3].

(١) نظم الدرر (٢٢/ ٣٤١).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) الكشاف (٤/ ٨١٧)، واستفاد من هذا النقل أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٥٦٨).

وقال الرازي: «... أن يكون المعنى: أنَّ حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل الحُزْمة من الشوك، فلا تزال على ظهرها حُزْمَةٌ من حَطَبِ النَّارِ من شجرة الزقوم، وفي جيدها حبل من سلاسل النار»[(١)].

وقال ابن كثير: «كانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم»[(٢)].

وقال ابنُ عادل: «إنَّ قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ يراد بهذا المعنى الاستقبال؛ فقد ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمةً من حطب النار، كما كانت تحمل الحطب في الدنيا»[(٣)].

وقال ابن عاشور: «فلما حصل لأبي لهب وعيد مقتبس من كنيته جُعل لامرأته وعيد مقتبسٌ لفظه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا، فأنذرت بأنها تحمل الحطب في جهنم ليُوقَد به على زوجها، وذلك خزيٌ لها ولزوجها إذ جعل شدة عذابه على يد أحب الناس إليه، وجعلها سببًا لعذاب أعزّ الناس عليها»[(٤)].

وقال ابن عاشور أيضًا: «وقدم الخبر من قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عوضت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدها في الدنيا فتربَط به؛ إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء، وسادة أهل البطحاء، وقد ماتت أم جميل على الشرك»[(٥)].

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).
(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٥٥٤).
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).
(٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).

يقول محمد رأفت سعيد عن سورة المسد: «كما يُنبِّهُ الناسَ في هذه السورة الكريمة إلى أن الجزاء من جنس العمل، فخسرت يداه وشقي لاستعمال يديه في أذى رسول الله ﷺ، واللقب الذي لُقِّب به لإشراق وجهه واستعمال هذا الوجه في صد الناس عن رسول الله ﷺ ما يناسبه من نارٍ ذات لهب، وامرأته التي كانت تحمل الحطب وتسعى بالنميمة سيكون في عنقها حبل من نار جهنم»[1].

(١) تاريخ نزول القرآن (ص١٣٢).

المبحث الثاني

استنباط قاعدة الجزاء من جنس العمل من خلال آيات السورة

ويحتوي على المطالب التالية:

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾.

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾.

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾.

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾.

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾.

۞ المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾:

إنَّ افتتاح السورة بالتباب فيه إشعارٌ بأنها نزلت للتوبيخ وللوعيد، وهذا من براعة الاستهلال، مثل ما تُفتتَح أشعار الهجاء بما يُؤذِن بالذمِّ والشتم[1].

ولم يفتتح خطاب السورة بـ«قل تبت يدا أبي لهب» كالإخلاص والمعوذتين، وإنما جاء الدعاء عليه مباشرة من فوق سبع سموات، وهذا من تمام محبة الله لنبيه ﷺ، حيث توَّلى المناضلة عنه والخصومة دونه. يقول البقاعي: «ولم يفتتحها بـ«قل» كأخواتها؛ لأنَّ هذا أكثر أدبًا، وأدخل في باب

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٠).

العذر، وأولى في مراعاة ذوي الرحم، وأشدّ في انتصار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له ﷺ، وأقرب إلى التخويف، وتجويز سرعة الوقوع»[1].

أولًا: معنى (التَّبِّ):

الفعلان ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾ فعلان ماضيان، ومصدرهما: التَّبُّ، والفرق بين الفعلين كما هو واضحٌ أنَّ الفعل الأول اتصَّلَتْ به تاء التأنيث؛ لأنَّ فاعله مجازي التأنيث وهو اليدان، والثاني لم تتصل به تاء التأنيث؛ لأن فاعله ضمير مذكر يعود إلى أبي لهب[2].

يُقال: تَبَّ، يَتُبُّ، تَبًّا وتَبَابًا[3].

وقد اختلفت عبارات العلماء في تفسير ﴿تَبَّتْ﴾ على أقوال:

❖ **القول الأول:** خَسِرَت[4]. وهو مرويٌّ عن ابن عباس[5] وقتادة[6] وابن زيد[7].

والتثبيب: التخسير، قال تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيبٍ﴾ [هود:١٠١]، أي: تخسير[8]. وهو قول عامة أهل التأويل[9]. ومنه قول الشاعر:

تَوَاعَدَنِي قَوْمِي لِيَسْعَوا بِمُهْجَتِي ... بِجَارِيَةٍ لَهُمْ تَبًّا لَهُمْ تَبَّا[10]

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٢٨).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨).

(٤) تفسير القرآن من الجامع (١/ ١١٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وتأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٣).

(٦) أخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣١). والطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤، ٧١٥)

(٧) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٧٧).

(٩) كما قال الماتريدي في تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(١٠) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

❖ **القول الثاني**: خابت. وهو مرويٌّ عن ابن عباس[١]، وأبي عوسجة[٢].

❖ **القول الثالث**: فسدت، فالتباب: الفساد. وهو قول لأبي عوسجة[٣].

❖ **القول الرابع**: هلكت. قاله ابن جبير[٤]. وقيل: التباب: الهلاك بالانقطاع، أي: خَسِرَتْ بانقطاع الرجاء[٥]. وقيل: التبُّ: الخسران المؤدي إلى الهلاك[٦]. وقول الناس: تَبًّا لك، أي: خُسْرًا لك[٧].

❖ **القول الخامس**: ضلَّت. وهو قول عطاء[٨].

❖ **القول السادس**: صَفِرَت من كل خير. قاله يمان بن رئاب[٩].

وعلى كل حالٍ فالأقوال متقاربة، وهو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضادِّ.

ثانياً: اسم أبي لهب:

أبو لهب هو عم النبي ﷺ[١٠]. وفي اسمه قولان:

---

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨)، وأبو عَوْسَجَة؛ هو ابن فَرَج الضَّبِّي الكوفي، واسمه: مسلم، له صحبة، ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٩/ ٦١)، وأُسْدُ الغابة (٥/ ١٦٦).

(٣) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤).

(٥) تفسير ابن فورك (٢/ ٣٥٨).

(٦) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

(٧) تأويلات أهل السنة (٦/ ١٨٢).

(٨) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، وعطاء هو ابن أبي رباح.

(٩) النكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، ويمان بن رِئاب؛ هو الخراساني، صاحب التفسير، وكان يرى رأي الخوارج، ينظر: الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٣/ ١٣٧)، والمؤتلف والمختلف له (٢/ ١٠٥٢).

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣)، بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

❖ **الأول**: هو عبد العُزَّى بن عبد المطلب[١]. وقيل: عبد هشم[٢].

وكنيته: أبو عتبة[٣].

❖ **الثاني**: أن اسمه كنيته، أي: اسمه أبو لهب[٤].

ثالثاً: إذا كان اسمه عبد العزى أو عبد هشم وكنيته أبو عتبة؛ فما سبب تكنيته بأبي لهب؟

في ذلك قولان وقفتُ عليهما:

☜ **القول الأول**: أن وجنتيه كانتا حمراوين، كأنما يلتهب منهما النار[٥].

☜ **القول الثاني**: أنه إنما سُمِّي أبا لهب من حُسْنِهِ[٦]، فوجهه كان يتلَهَّب جمالًا[٧].

وقد يكون القولان قولًا واحدًا، فإنَّ سبب جماله هو الحمرة التي كانت في وجهه.

رابعاً: ما سبب تخصيص أبي لهب بالذِّكر من بين سائر الكفرة؟

يحتمل وجوهاً:

❖ **الوجه الأول**: أنه كان من الفراعنة والأكابر، والفراعنة قد يُذْكَرُون بأسمائهم لِما هم المقصودون به، وإن كان مَن دونهم يُشاركونهم في ذلك؛

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤١).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٥).

(٧) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).

كذكر فرعون وعاد وثمود[١].

❖ **الوجه الثاني**: أنه كان شديد الهيبة والخوف، يخاف منه قريشٌ والعرب، فذكره باسمه ليعلم أن محمدًا ﷺ لا يهابه ولا يخافه[٢].

❖ **الوجه الثالث**: أنه كثير الأيادي والصنائع بحق رسول الله ﷺ، فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يظن بما سبق مِن الأيادي أنه غير داخل تحت الخطاب؛ فخصه بالذكر ليعلم أنه لا يغنيه من الله شيء[٣].

خامساً: إذا كان اسمه عبد العُزَّى؛ فلِمَ ذُكِر بكنيته دون اسمه الصريح؟

فيه وجوه:

❖ **الوجه الأول**: أن الناسَ كانوا يعرفون كنيته، ولا يعرفون اسمه، فذُكِر بما كان معروفًا به[٤].

❖ **الوجه الثاني**: أنَّ اسمه كان عبد العُزَّى أو عبد هشم، أي: مُعَبَّدٌ لصنم أو لرجل، فكُرِهَ أن يُنسَبَ إلى غير الله سبحانه[٥].

❖ **الوجه الثالث**: أنَّ اسم (عبد العزى) اسمٌ يشترك فيه أبو لهب وغيرُه، والمقصود بهذه السورة تخويف أبي لهب وتعييره بأشياء هو وزوجته، فلو أنَّه نزل باسمه (عبد العزَّى) لأمكنه أن يقول: إني لست المقصود بهذه السورة، فنزلت بكنيته التي كان يختصُّ بها[٦].

---

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٩٩)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٦) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

❖ **الوجه الرابع**: أنَّ ذِكْرَ الكنية خرج مخرج الوعيد، أي: تصير النارُ له كالابن وهو كالأبِ لها، وذلك لأنَّ هذه الكنى إنما تذكر في المتعارف على وجه التفاؤل، كما يقال: أبو منصور، على رجاء أن يولد له ابنٌ يُسَمَّى منصورًا. ثم إنَّ الله تعالى سمَّى النارَ في بعض الآيات أُمًّا للكافر، كقوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩]، وفي بعضها: مولى، قال: ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ [الحديد: ١٥]، فجاز أيضًا أن تكون النار إذا قربت منه وانضمت إلى حجره أن تصير في التمثيل كالولد، ويصير هو أبًا لها[(١)]. فلمَّا كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب، وافقت حالُه كُنيتَه، فكان جديرًا بأن يُذكر بها[(٢)]، ولذا وصف الله النار بذات لهب لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره؛ إذ هو أبو لهب، والنار ذات لهب[(٣)].

قال ابن عاشور: كنية أبي لهب صالحة موافقة لحاله من استحقاقه لهب جهنم، فصار هذا التوجيه كناية عن كونه جَهَنَّميًا لينتقل من جعل أبي لهب بمعنى ملازم اللهب إلى لازم تلك الملازمة في العرف، وهو أنه من أهل جهنم وهو لزوم ادعائي مبني على التفاؤل بالأسماء[(٤)]. كما أن كنيته لازمته في الدنيا فكذلك النار تلازمه في الآخرة.

❖ **الوجه الخامس**: أنَّ ذِكْرَ الكُنية -وإن كان يراد بها التعظيم-، فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والإهانة. وذلك مثل البشارة فإنها

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٨١٤)، ومفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٨/ ٥٧٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٦٦).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٢).

وإن كانت تذكر عندما يسر ويُبْهِج في الأغلب، فعند ذكر العقوبة هي نذارة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١] وعلى ذلك الكنية[١].

❖ **الوجه الساوس**: أنَّ الاسم أعظم من الكنية، لأن الكنية إشارة إلى الشخص باسم غيره، فلذلك سمَّى الله الأنبياء بأسمائهم لا بكُنَاهم، فلو سُمِّي باسمه لكان تسميةً له بالاسم الأعظم، والمقام هنا مقام إذلالٍ وإهانة[٢].

وكلُّها أوجهٌ محتملة، وبعضها أقوى من بعض.

سادساً: بعد أن تَبَيَّن أن التباب هو الخسران والهلاك، فما الذي خسره أبو لهب وخسرته يداه؟

ورد في ذلك أقوالٌ:

❖ **القول الأول**: تَبَّ مالَه[٣].

❖ **القول الثاني**: تبَّ عملَه[٤]. وهو قول ابن زيد[٥].

❖ **القول الثالث**: تبَّ عن التوحيد[٦]. قاله ابن عباس[٧].

❖ **القول الرابع**: تَبَّ نفسَه[٨].

❖ **القول الخامس**: كان أبو لهب أراد أن يرمي النبيَّ ﷺ بحجر، فمنعه الله من ذلك، وقال: تبت يداه؛ للمنع الذي وقع به[٩].

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) تفسير التستري (ص٢٠٩).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٥) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٦) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٧) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٨) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٩) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

❖ **القول السادس**: تَبَّ عن الخيرات. قاله مجاهد[١].

ولا مانع من الحمل على جميع ما سبق، وبعضُه يدخل في بعض.

سابعاً: ما سبب تكرار فعل (تَبَّ) مرتين؟

في ذلك أقوالٌ:

❖ **القول الأول**: إن التَّباب والخسران الأول هو خسران المال، والتباب والخسران الآخر هو خسران النفس[٢].

❖ **القول الثاني**: أنَّ التَّباب الأول دُعاءٌ عليه بالخسران، والثاني هو إخبارٌ عن وقوع الخسران في سابق التقدير. تقول العرب في مثل هذا: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك صالحاً وقد جعلك[٣]. قال ابن عباس: قد تبَّ[٤].

ويؤيد هذا القول إنه في قراءة عبد الله بن مسعود: {تبت يدا أبي لهبٍ وقد تـبَّ}[٥]؛ فإنه قد دخلت (قد) على الفعـل الماضي، ودخول (قد) على الفعل الماضي فيه دلالة على أنه خبر[٦].

وعلى قراءة ابن مسعود {وقد تَبَّ}، فالواو فيه واو الحال[٧].

❖ **القول الثالث**: أنَّ الثاني تأكيدٌ للأول[٨].

---

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩).

(٣) تفسـير التسـتري (ص٢٠٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٤) وعزاه إلى بعض أهل العربية، وتفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٥) وهي قراءة شاذة. انظر: جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧١٤).

(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

(٨) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

❖ **القول الرابع**: أنَّ الأول إخبارٌ عما حصل في الدنيا من أن يدي أبي لهب تبَّت بما منعه الله تعالى من أذى لرسوله، والثاني إخبارٌ بما له عند الله من أليم عقابه[١].

❖ **القول الخامس**: أنَّ الثانية لولد أبي لهب. قاله مجاهد[٢].

والقول الخامس ضعيفٌ؛ لأنَّه لم يَرِد للولد ذِكْرٌ سابقٌ، وما بعده لا يُساعِدُ السياقُ على جعله فاعلًا، وبقية الأقوال الأربعة محتملة، ويؤيد القول الثاني القراءة الشاذة المذكورة.

ختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾:

يظهر الجزاء من جنس العمل في الأمور الآتية:

◈ **أولًا:** أنه جواب عن قول أبي لهب للنبي ﷺ حين جمعهم ودعاهم إلى التوحيد وأنذرهم العذاب بقوله: تَبًّا لك[٣]، أو ما ورد من قوله: (تبًّا لهذا من دين)[٤]. ومن اللافت للنظر أن يأتي الدعاء على أبي لهب بنفس الصيغة التي نطق بها لسانه المشئوم.

◈ **ثانياً:** عِندما تَصَدَّرَ في الرَّدِّ على النبيِّ ﷺ رغم وجود كثرة المعارضين له والذين لم يؤمنوا؛ كان جزاؤُهُ أن أُهْمِلَ ذِكْرُ البقية وذُكِرَ هو وحده جزاءً وِفاقًا[٥].

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٣).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) وقد سبق تفصيل ذلك في مبحث سبب نزول السورة.

(٤) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).

◈ **ثالثاً:** أنَّ سَبَّ أبي لهبٍ وعيبَه كان علنًا، أمام القوم المجتمعين لِمَا دعاهم إليه نبينا ﷺ، فكان من اللائق أن يُعاد إليه العَيْبُ والذَّمُّ أمام الناس أجمعين، فمَن ذَمَّ على ملإٍ استحقَّ أن يُذَمَّ أمام ملإٍ خير منهم وأكثر، كما حصل في إنزال هذه السورة في القرآن الكريم.

◈ **رابعاً:** أنَّه عندما آذى النبي ﷺ بعبارته هذه؛ جُوزِي بأن ذُكِر بكنيته، وتَرْكُ الاسم إلى الكنية فيه نوعُ استهزاءٍ بما هو مُتَتَبَّعٌ من أسلوب القرآن[١]، كما أنَّ الكنية في مقام الوعيد نوع استهزاء[٢].

◈ **خامساً:** ما ذُكِر مِن أنه كان يُحْسِنُ إلى النبي ﷺ قبل البعثة، ويظُنُّ أنَّ هذا سينفعه، فعُوقِب بنقيض ظنِّه، وبُيِّن أن هذا سيكون خسرانًا وتبابًا عليه[٣].

◈ **سادساً:** أنَّه كان يفتخر بجماله وتلهُّب وجهه، فذُكِرت كنيته (أبو لهبٍ) في سياق الاستهزاء والاستحقار؛ فافتخاره بكنيته جُعِلَت سبيلًا للاستهزاء به[٤].

❁ المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾:

◆ أولًا: إذا كان السببُ الذي استحقَّ بسببه أبو لهب أن تنزل فيه هذه السورة من القرآن، هو قولٌ قاله بلسانه، فما وجه الدعاء على يده بالخسران دون اللسان؟

نعم يُقال في لغة العرب لكل ما عمله الإنسان: ذلك بما كسبت يداك، وإن كانت اليدان لم تجنِ شيئًا؛ لأن اليدين هما الأصل في التصرف، فجعلتا

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).
(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٩).
(٤) الكشاف (٤/ ٨١٤).

مَثَلًا لجميع ما عُمِلَ بغيرهما، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج:١٠]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران:١٨٢][١].

◆ **ثانياً: ما المراد باليدين؟**

القول الأول: المراد حقيقة اليد[٢].

القول الثاني: أنَّ المراد نفس أبي لهب، وتكون اليدُ صِلَةً له، بمعنى: زائدة[٣]، ويكون ذلك من باب المجاز[٤].

◆ **ثالثاً: إذا كانت اليد حقيقةً فلِمَ دُعِيَ عليها بالخسران؟**

في ذلك وجوه:

☜ **أحدها**: ما ذُكِر: أنه كان كثير الإحسان إلى رسول الله ﷺ، والإنفاق عليه، والصنائع إليه، وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد يومئذ فيكون لي عنده يد، وإن كان لقريش فلي عندها يد، فأخبر -والله أعلم- أنه خسر فيما طمع ورجا مِن اليد التي له عنده والإحسان الذي أحسن إليه؛ إذ لم يصدقه، ولم يؤمن به، وخسر أيضًا ما ادَّعى من اليد له عند قريش[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٢٥-٣٢٦).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٤)، والزيادة هنا لا تعني أن هذا المزيد خالٍ عن الفائدة، فإن مقام كلام الله يعلو عن ذلك، وكل ما قيل فيه زائد، فإنما يراد به الصلة، وليست زيادته لغوًا، بل له من المقام في توكيد المعنى ما لا عوض عنه.

(٤) وهل في القرآن مجاز أم لا؟ خلاف بين أهل العلم مشهور، والأظهر وجوده، وليس وجوده بضائر شيئا على التحقيق إن شاء الله، إذ عامة أهل اللسان على أنه خصيصة من خصائص اللغة، والقرآن إنما نزل بلسان العرب، ويصار إلى القول بالمجاز في الشيء عند تحقيق ذلك لا كما يذهب أهل الكلام، إذ الأصل الحقيقة، والله أعلم.

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩)، وبيان المعاني (١/ ١٢٠).

☜ والثاني: يحتمل أن يكون من أبي لهب تخويف لرسول الله ﷺ بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن الله تعالى رسولَه عمَّا خَوَّفَه به، حيث قال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] أي: خسِرَت يداه، ولا يقدر على البطش[١].

☜ والثالث: يحتمل أن يكون اليد كنايةً عن القوة في نفسه وماله في دفع العذاب عن نفسه، وكذلك كانوا يدَّعون دفع العذاب عن أنفسهم بقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥][٢].

☜ والرابع: يجوز أنه كان يصرف الناسَ عن رسول الله ﷺ بيده، أو حين دُعِيَ إلى الإيمان بالله تعالى مَدَّ يديه على التعجل من ذلك، وقال: ألهذا دعوتنا؟، فرد الله تعالى عليه ذلك وعيَّره به[٣].

وعلى كل حال فإذا خسرت يدا أبي لهب فقد خسر هو[٤].

◆ رابعاً: إن كان ذِكْرُ اليَدِ على الصلة، فهو يُخَرَّجُ على وجوه:

☜ الأول: ذِكْرُ اليدِ كناية عن العمل والفعل، فحيث إنَّ اليد هي الجارحة التي يَكتسب بها المرء غالبًا، كنَّى بها عن العمل، والعلاقة هنا سببيَّةٌ، وقد جاء نحو ذلك كثيرًا في التنزيل، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٢]، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]، كنايةً عمَّا كان منه من الصنيع، أي: خسرت أعماله وبطلت[٥]، لأن أكثر العمل لمَّا كان باليدين أضيف ذلك إليهما، على معنى الخسار الذي أدَّى إليه العمل بهما[٦].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٦) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

والثاني: يذكر اليد على إرادة قُدَّام وأمام، كقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:٤٢] أي: أمامه وخلفه، فيكون معناه: ما قدَّم من الأعمال(١).

والثالث: أنه أخبر عن يديه والمراد به نفسه، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله(٢). ومما يدل على أن المراد هو ذات أبي لهب وليست يديه، قوله في آخر الآية: ﴿وَتَبَّ﴾، ولم يقل: وتَبَّتَا(٣)، وذلك على القول بأنَّ الفعل الثاني توكيد.

والرابع: أن اليد صِلَةٌ تستخدمها العرب، تقول العرب: يدُ الدَّهْرِ، ويَدُ الرَّزَايَا، ويدُ المنايا(٤). قال الشاعر:

لَمَّا أَكَبَّتْ يَدُ الرَّزَايَا عَلَيْهِ نَادَى أَلَا مُجِيرُ(٥)

والخامس: قيل: المراد به ماله وملكه، يُقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به: المال(٦).

◆ **وختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾:**

☜ **أولاً:** ما ذكره بعض المفسرين من احتمال أن أبا لهب خوَّف رسول الله ﷺ بالبطش والأخذ باليد، فأمَّن الله تعالى رسولَه عمَّا خَوَّفَه به، حيث قال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي: خسِرَت يداه، ولا يقدر على

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٣).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).
(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).
(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).
(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

البطش[1]، فيظهر في هذا أنَّهُ عندما خوَّفَ النبيَّ ﷺ بيده جُوزِي من جنس عملِه، وعُوقِبَت يده بالتباب والخسران.

☜ **ثانياً**: ما ذكره بعض المفسرين من أن أبا لهب عندما قال (تَبًّا) قارن ذلك حركات بيديه، فتكون الآية جزاءً لقوله وفعله، أما قولُه فجُوزي عليه بمثله بالتباب والخسران، وأما فعله وحركات يده فجُوزي بتسميتها بالخسران رغم أن الخسارة تعم الجميع[2]. فقد ذُكِر أنه عندما قام النبي ﷺ خطيباً ينذرهم، أن أبا لهب قام ينفض يديه الاثنتين بين يدي الرسول ﷺ، وهو يقول: تَبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾[3]، ولذا جاء التباب في كلتا يديه.

☜ **ثالثاً**: ما ذُكِر في بعض الروايات أنه كان يَصُدُّ عن النبي ﷺ بيده، فعُوقِبَت يده بالخسران والهلاك جزاءً وفاقاً[4]، فقد ذُكِر من أعمال يديه: أنَّه أخذ مرَّةً حجرًا بيده ليرمي به الرسول ﷺ، فمنعه الله من ذلك[5].

بل ورد أنه رماه فأَدْماه، فعن طارق المُحاربي قال: بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا أنا برجل حديث السن يقول: أيها الناس قولوا: «**لا إله إلا الله تُفْلِحوا**»، وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا محمد يزعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب[6].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٤).

(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٥) التحصيل للمهدوي (٧/ ١٨٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٢)، وتفسير النيسابوري (٦/ ٥٨٩)، والسراج المنير (٤/ ٦٠٦).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٨٢ ح ١٥٩)، وابن حبان (١٤/ ٥١٧)، والحاكم (٢/ ٦٦٨) وصححه هو والذهبي.

وورد أنَّه كان يضرب بيده على كتف الوافِد عليه، فيقول: انصرف راشدًا؛ فإن محمدًا مجنون[1].

☜ رابعاً: ومما يمكن أن يدخل في قاعدة (الجزاء من جنس العمل) في هذه الآية: أنَّ أبا لهبٍ عندما زعم أنَّ له اليد الطولى والفضل المزعوم على النبي ﷺ لنوعٍ من أنواع الإحسان قدَّمه إليه في يومٍ ما، فقد أخبر الله أنَّ هذا الإحسان باطلٌ، وأنَّ هذه اليد المزعومة هي خاسرة وقد تبت وباءت بالهلاك، فكما أَخْبَر بأن له اليد الفُضلى عُوقِب بأن أُخْبِرَ بأنَّ له اليد الخاسرة الهالكة.

❁ المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾:

◆ أولاً: في إعراب ﴿ مَآ ﴾ الأولى قولان:

القول الأول: أنها نافية، أي: لم يُغْنِ عنه ماله وكَسْبُهُ وأولاده من عذاب الله شيئًا، حيث كانوا يقولون: ﴿ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٥][2]. وعلى هذا الوجه تكون حرفًا، ويكون هناك مفعول محذوف تقديره: ما أغنى عنه مالُه شيئًا[3].

القول الثاني: أن ﴿ مَآ ﴾ استفهامية إنكارية، أي: أيَّ شيءٍ أغنى عنه مالُه وكسبُه؟[4]. وعلى هذا الوجه تكون ﴿ مَآ ﴾ في موضع نصب بـ ﴿أَغۡنَىٰ﴾[5].

والقولان مُؤَدَّاهُما واحد، وإنما هما احتمالان نحويَّان.

(١) تفسير النيسابوري (٦/ ٥٨٩).
(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).
(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).

◆ **ثانياً: معنى الإغناء عنه: فيه قولان:**

القول الأول: الدفع عنه، والإغناء عنه بالمال ونحوه يُراد به: دفع وقوع المضارِّ به[١].

القول الثاني: ما نفعه. قاله الضحاك[٢].

فالقول الأول يُحْمَل فيه الإغناء على دفع الأذى والمضار، والقول الثاني يُحْمَل فيه الإغناء على جلب المنافع والمصالح، والآية تحتمل المعنيين فيُحْمَل على كليهما.

◆ **ثالثاً: المراد بالمال في الآية، فيه أقوال:**

القول الأول: يعني أغنامه، وكان صاحب سائمة ومواشٍ. وهو قول أبي العالية[٣].

والقول الثاني: ما اقتنى من الأموال والأغراض[٤].

والقول الثالث: تليده وطارفه، والتليد: الموروث، والطارف: المُكتَسب[٥]. وقرأ الأعمش شاذًّا: {وما اكتسب} ورواه عن ابن مسعود[٦].

والقول الثاني والثالث متشابهان جدًّا؛ فإنَّ القول الثاني عمَّم من جهة ما يملكه؛ فسمَّى المال وسمَّى الأغراض، والقول الثالث عمَّم من جهة ماله الموروث وماله المكتسب، أما القول الأول ففيه معنى التخصيص لما كان يملكُه أبو لهبٍ. ولا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فتُحْمَل على الجميع.

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٤).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٥).

(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

◆ **رابعاً: إعراب (ما) في ﴿وَمَا كَسَبَ﴾:** هنا في موضع رفع، وتُأَوَّل مع الفعل بعدها بمصدر يكون معطوفًا على ما قبله، أي: ما أغنى عنه مالُهُ وكسبُهُ[١].

◆ **خامساً: المراد بالكسب: فيه أقوال:**

القول الأول: الولد[٢]. وهو قول ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، ومقاتل[٥].

عن أبي الطفيل قال: كنت عند ابن عباس يومًا، فجاء بنو أبي لهَب يختصمون إليه في شيء بينهم، فاقتتلوا عنده في البيت، فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم، فوقع على الفراش، فغضب ابن عباس، فقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ يعني: ولده[٦].

وسمَّي الولدُ كسبًا؛ لأنه من كسبه[٧]. عن عائشة قالت: أطيب ما أكل الرجلُ مِن كسبه، وإنَّ ابنَه مِن كسبِه، ثم قرأت: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قالت: وما كسب ولَدُهُ[٨].

ومما يؤيد أنه يجوز إطلاق الكسب على الولد: ما رواه أبو الأسود، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ: «**إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه**»[٩].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

(٣) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٤، ح٣٧٣٤).

(٤) تفسير مجاهد (ص٧٥٩). وأخرجه ابن جرير عنه في جامع البيان (٢٤/ ٧١٧، ٧١٨).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣٠)، وابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ٧١٧)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٦).

(٩) سنن أبي داود (ح٣٥٢٨)، وسنن النسائي (ح٤٤٥١)، وصححه الذهبي في التعليق على المستدرك (ح٢٢٩٥).

وسئل ابن عباس: أيأخذ الرجلُ من مال ولدِه؟ فتلا: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ الآيةَ [الشورى: ٤٩]، فهو مما وهب الله لنا، فهم وأموالهم لنا[١].

وأولاده: عتبة، وعتيبة، ومعتب[٢]. وولده عتبة بن أبي لهب كان مبالغًا في عداوة النبي ﷺ كأبيه[٣].

والقول الثاني: أنَّ الكسب هو ما كسب من العمل. قال الضحاك: عمله الخبيث[٤].

ويحتمل وجهين:

الوجه الأول: ما أغنى عنه ما كسب من العمل والإنفاق الذي أنفق على الطمع الذي فعل، أي: لم يُغْنِه شيئًا[٥].

الوجه الثاني: لم يُغْنِهِ ما كسب عن صدِّ الناس عن رسول الله ﷺ والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه[٦].

والقول الثالث في المراد بالكسب: ما كسب من جاهٍ[٧].

◆ سادساً: الشيء الذي نُفِيَ أنه أغنى عنه ماله وكسبه: فيه قولان:

القول الأول: أنه ما يغنيه مالُه وكسبُه من العذاب والغضب وسخط الله عليه[٨]، وهو قول قتادة[٩].

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦٩).
(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).
(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٦) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).
(٨) جامع البيان (٢٤/ ٧١٧)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠).
(٩) تفسير عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٤، ح ٣٧٣٤).

القول الثاني: في عداوته النبي ﷺ [١].

والحمل على القولين جائزٌ، فيحمل عليهما.

◆ وفي ختام المبحث: الجزاء من جنس العمل في هذه الآية يظهر فيما يلي:

☜ أولاً: أنَّ أبا لهب يدخل ضمن مَن كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [٢]، فكان الجزاء مِن جنس ما قالوه أنه لم يغنِ عنه مالُه أو ولده شيئًا[٣].

☜ ثانياً: أنَّ أبا لهبٍ قد استعانَ بولده ومالِه في عداوة النبي ﷺ، فولده عتبة بن أبي لهب كان مبالغًا في عداوة النبي ﷺ كأبيه[٤]، وماله استعمله في صدِّ الناس عن رسول الله ﷺ والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه[٥]، فكان جزاؤه من جنس عملِه؛ أن نُفِيَ عنه نفعُ هؤلاء في عذاب الآخرة والعياذ بالله.

☜ ثالثاً: أنَّ أبا لهب قد زعم أنه سيفتدي يوم القيامة بماله وولده، فعاقبه الله بجريرة قوله، وكان جزاء هذا القول أن أصبح ماله الذي جمعه وولده الذين اشتدَّ ظهره بهم وجميع ما كسب وبالًا عليه، ولم ينتفع بهم، ولم يغن عنه شيئًا دنيا ولا أخرى؛ ففي الدنيا هلك هلاك مذلة، فلم يُكَفَّن بماله ولا بمال غيره، ولم يحمل جنازته أحدٌ مِن أولاده ولا أتباعه[٦]. فقد ذكر أصحاب التفسير: أنَّ

(١) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

(٢) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٠)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٥).

(٣) الوسيط للواحدي (٤/ ٥٦٨).

(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦٩).

(٥) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

(٦) حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/ ٤٠٩).

أبا لهب أصيب بالعَدَسة[1] بعد وقعة بدر بأيام معدودة، وتُرك ثلاثًا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان، بحيث لم يقربه أحد من أقاربه، وإنما غسلوه بالماء قذفا من بعيد، ورجموه حتى دفنوه[2]، فمالُه وجَاهُهُ وولدُه لم ينفعه حتى ولو في تجهيزه وتغسيله بعد موته؛ فقد خدمه ماله في نقيض ما يريد فقد أخذ من ماله أجرة لمن يرميه ويقذفه من بعيد من السود والعبيد، وفي الآخرة أخبر الله أنهم لن يغنوا عنه من الله شيئًا.

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾:

- **أولاً: السين في قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ﴾: فيها قولان للعلماء:**

☜ **القول الأول**: أنها سين سوف[3].

☜ **القول الثاني**: أنها سين الوعد[4]، وعبر الماوردي عنها بسين الوعيد، كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ [القمر:٤٥]، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا﴾ [آل عمران:١٨٠][5].

والذي يظهر لي أنَّ القولين ليسا متعارضين، وإنما القول الأولُ أعمُّ في المعنى، فإنه يدل على أن السين للتسويف، وهو شيء سيحصل في المستقبل، والقول الثاني يدل على أن هذا الذي سيحصل في المستقبل هو للوعيد.

---

(١) وهي: قروح تخرج من جسم الانسان كانت العرب تهرب منها؛ لأنها بزعمهم تُعدي أشد العدوى. قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٩٠) في حديث أبي رافع: «أن أبا لهب رماه الله بالعدسة» وهي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد، من جنس الطاعون، تقتل صاحبها غالبا». وفي تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٢) كانت قريش تتقي العدسة وعدوتها كما يتقي الناس الطاعون.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٤٦٢)، والكامل في التاريخ (١/ ٦٦٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٢).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

◆ **ثانياً: معنى (يَصْلَى):** سيغشى، ويدخل[١]. وسيُقاسي حَرَّ النار، يُقال: صلَيْتُ بالأمر أَصْلَى: إذا قاسَيْتَ حَرَّه وشِدَّتَهُ، وصَلَيْتُهُ: شويته، وفي الحديث: شاة مصليَّة، أي: مشوية[٢].

وفي الآية قراءتان شاذَّتان: {سيُصْلَى} قراءة أبي رجاء بضم الياء[٣]، ورويت عن أبي بكر عن عاصم[٤]، و{سيُصَلَّى} قراءة أشهب العقيلي بضم الياء وتشديد اللام[٥].

◆ **ثالثاً: فاعل ﴿سَيَصْلَىٰ﴾:** ضمير مستتر تقديره (هو)، وفي الذي يعود إليه الضمير قولان:

☜ **القول الأول:** يعود إلى أبي لهب[٦].

☜ **القول الثاني:** يعود إلى ولده[٧]. وهو قول ضعيف؛ لأنَّ أبناءَه منهم المسلمون، مثل درة بنت أبي لهب، إلا أن يُراد بعضُ ولده.

◆ **رابعاً: معنى ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾:**

☜ **القول الأول:** ليس لها دخان[٨].

☜ **القول الثاني:** أنها قوية؛ فيكون لها لهب، وارتفاع، واشتعال[٩].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٥).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وتفسير التستري (ص٢٠٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧١٨).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥).

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وتفسير التستري (ص٢٠٩).

(٩) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٦)، والهداية (١٢/ ٨٤٨٥).

و﴿لَهَبٍ﴾ و(الهاء) في هذه الآية لم يختلف القُرَّاء أنها بالفتح، بخلاف ما حصل من اختلافٍ في الآية الأولى من السورة.

وسبب اتفاقهم في هذا الموضع: مراعاة رءوس الآي[1].

◆ **خامساً: لماذا اختير وصف النار بهذا الوصف رغم أن لها أوصافاً كثيرة؟**

لِما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت مِن نذره ووعيده[2].

◆ **سادساً: سبب توعده الله بالنار:** هو وعيد من الله حقَّ عليه بكفره[3].

◆ **سابعاً: في الآية دليل على صحة رسالة النبي ﷺ:** حيث أخبر أنَّ أبا لهب سيكون من أهل النار، ولا يمكن ذلك إلا إذا خُتِمَ له على الكفر، فكان كما أخبر، ومات على الكفر، وكذلك زوجته[4].

وقد كان أبو لهب وامرأته من أحرص الناس على تكذيب النبي ﷺ، ولم يحملهما ذلك على إظهار الإيمان حتى يُكذِّبا رسول الله ﷺ، بل داما على كفرهما[5].

قال الماتريدي: «وفي هذه السورة دلالتان أُخريان يدلان على نبوته:

◈ **إحداهما:** أن رسول الله ﷺ إنما قرأ هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الدِّين، وكانت المنعة والقوة للكفرة، وكانوا جميعًا أولياء أبي لهب وأنصارًا له عن آخرهم، ولا يحتمل أن يكون مُحَمَّد ﷺ يقرأ هذه السورة عليه، وفيها سبٌّ له وتعييرٌ إلى يوم القيامة، مع قلة أوليائه وكثرة أعدائه؛ إذ فيه خوف هلاكه - إلا برب العالمين.

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٤).

(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٦).

(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

(٤) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١)، وتفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨)، والنكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٩).

◈ **ومعنى آخر**: أنه ﷺ كان موصوفًا بحسن العشرة وإجمال الصحبة مع الأجانب؛ فما ظنك بالعشيرة والأقارب مع أنه كان متنزهًا عن الفحش في جميع أوقاته؛ فما جاز له هذا إلا بالأمر من الله تعالى؛ فدلَّ ذلك على نبوته ورسالته»[1].

◆ **ثامناً: الجزاء من جنس العمل في الآية:**

تظهر هذه القاعدة في هذه الآية من عدة وجوه:

❖ **الوجه الأول**: على القول بأن الضمير في {يصلى} يعود إلى ولدِ أبي لَهَبٍ الذين كان يُرِيد أن يَفْتَدِي بهم في النار؛ فإنَّ بعض ولده سيدخل النار ولن يكون فداءً، بعكس ما أراد أبو لهب.

❖ **الوجه الثاني**: على القول السابق فإنَّ ولدَ أبي لهب الذين ساعدوه وعاونوه في إيذاء النبي ﷺ سيكونون حسرةً عليه يوم القيامة حينما يُرْمَون في النار معه.

❖ **الوجه الثالث**: أنَّ جماله ووجاهته التي سمي لأجلها (أبا لهب) سيُجازَى باستغلالها في الشر أن يكون من أهل النار ذات اللهب والعياذ بالله.

❖ **الوجه الرابع**: أنَّ أبا لهبٍ عندما كان يريد وعدًا من النبي ﷺ أن يكون له منزلة في الإسلام ليست لغيره، وهذا ليس من طريقة الإسلام في شيء، فلم يحصل عليها، فغضب وكفر، كُوفئ وجُوزِي بأن وُعِدَ نارًا يصلاها في الآخرة لا يخرج منها أبدًا.

❖ **والوجه الخامس**: أنَّه عندما دعا على النبي ﷺ بالتباب والهلاك بقوله: (تبًّا لك)؛ وعده الله بالهلاك والتباب والخسارة الأخروية بدخوله النار وعدم خروجه منها.

(١) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

❖ **والوجه السادس**: أنَّه حينما كان النبي ﷺ ذا أدبٍ جَمٍّ وَخُلُقٍ رفيع، كافأه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن لم يأمره بأن يُوَجِّه الخطاب لعمِّه بدخول النار، بل تكفَّل ذلك عنه.

۞ المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾:

◆ أولًا: امرأة أبي لهب مَن هي؟

هي أم جميل بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان ابن حرب، وعمَّة معاوية[(١)]. قيل: إنها كانت عوراء[(٢)].

ونلاحظ أن القرآن ذكر كنية أبي لهب ولم يذكر كنية أم جميل؛ وذلك لأنَّ عملها خالف صفتها، فذكرها القرآن بما تميزت به وبما كسبت يدها من أعمال قبيحة. قال البقاعي: «وعدل عن ذكرها بكنيتها لأنَّ صفتها القَبَاحة، وهي ضد كنيتها، ومن هنا تؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لِمَن ليس متصفاً بما دلَّ عليه لقبُه»[(٣)].

◆ ثانياً: إعراب ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: فيه وجوه:

❖ **الوجه الأول**: مرفوعة لعطفها على الضمير المستتر في ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾، أي: يصلى أبو لهب نارًا ذات لهب، وتصلى امرأتُه النارَ كذلك[(٤)]. وإنما جاز

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٤١).

(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨)، وجامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

العطف على المضمر المرفوع لأنه قد فُرِّق بينهما، فقام التفريق مقام التأكيد[١].

وعلى هذا سيكون ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ في موضع الحال من المرأة[٢].

❖ الوجه الثاني: يجوز أن تكون ﴿ وَامْرَأَتُهُ ﴾ مبتدأ، وترتفع {حمَّالةُ الحطب} على البدل من ﴿ وَامْرَأَتُهُ ﴾ و﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ الجملة هي الخبر[٣].

❖ الوجه الثالث: يجوز رفع (امرأته) على الابتداء، و{حمَّالةُ الحطب} خبرٌ، على معنى: وامرأتُهُ حمالةُ الحطب في النار أيضاً[٤]. ويكون ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع رفع خبر ثان[٥]، أو في موضع نصبٍ على الحال[٦].

◆ **ثالثاً: إعراب {حمَّالةُ} على قراءة الرفع: وجهان:**

الوجه الأول: نعت للمرأة[٧].

الوجه الثاني: خبر. وقد تقدم.

رابعاً: إعراب ﴿ حَمَّالَةَ ﴾ على قراءة النصب: وجهان:

الوجه الأول: على الذم والشتم، أي: ذكرتها حمَّالة الحطب[٨]. أو: أعني حمَّالة الحطب[٩].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٧).

(٧) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨)، وجامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

(٨) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨).

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٥)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

الوجه الثاني: أن تكون ﴿حَمَّالَةَ﴾ نكرة نُوِيَ بها التنوين، فتكون حالًا لـ{امرأته}، منصوبة بالفعل ﴿سَيَصْلَىٰ﴾، جوَّزه الأخفش[1].

لأن أصلـه: وامرأته الحمَّالة الحطب، فلمَّا أُلْقِيَـتِ الألف واللام نُصِبَ الكلام[2]. وقد صَوَّبَ ابنُ جرير قراءة الرفع؛ لأنها أفصح الكلامين، ولإجماع الحجة من القراء عليه[3]. وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم[4].

◆ **خامسـاً: معنى حمل الحطـب:** اختلف في زمنه المراد بهذه الآية على قولين:

القول الأول: أنه عملٌ كان يحصل منها في الدنيا، وهو الذي عليه أكثر المفسرين.

القول الثاني: أن حملَها للحطب سيكون في النار إذا دخلتها[5].

وفي معنى حمل الحطب في الدنيا ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه حطب وأغصان ذو شـوك، كانـت أم جميل تحمله فتُلْقيـه علـى طريق نبي الله ﷺ وأصحابه ليلًا لِيعقِـرَه. وهو قول ابن عباس[6]،

(١) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٨٨).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٣) جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٧١٨).

(٤) الكشـف والبيان (١٠/ ٣٢٧)، مسـألة التصويب في القراءات، وترجيح بعضها على بعض، مسـألة قديمة عريضة البسـط، يُرجع لها إلى كتب القراءات، لكن لِيُعلم أن تصويب قراءة، وترجيحها على أخـرى، لا يـدل على أن غيرهـا لا يقرأ بها إن ثبتـت بالتواتر، وغاية ما في ذلـك، أن بعض الحروف أفصح وأبلغ من بعض، أو أَقْيَسُ، مع أن الجميع فصيح سائغ، والله أعلم.

(٥) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨).

(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩)، والكشـف والبيان (١٠/ ٣٢٧)، والنكت والعيون (٦/ ٣٧٦)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).

ويزيد بن زيد[١]، والضحاك[٢].

وكان حطبًا كثيرًا، حتى كأنه يطأُ ﷺ كثيبًا. رواه عطية الجدلي[٣].

وذكر السمرقندي أنه قد بلغ النبيَّ ﷺ شِدَّةٌ وعناءٌ من ذلك[٤]، وقد يُفْهَم هذا من صيغة المبالغة ﴿حَمَّالَةَ﴾.

القول الثاني: أنَّ الحطب هنا هو النميمة، أي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس[٥]. قاله مجاهد[٦]، وقتادة[٧]، والحسن[٨]، وعكرمة[٩]، وسفيان[١٠].

ويدل له قول الشاعر:

مِنَ الْبِيضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ

وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطْبِ[١١]

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩، ٧٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٧).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧١٩).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢-٦٣٣).

(٥) تفسير التستري (ص٢٠٩)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٦)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤١).

(٦) تفسير مجاهد (ص٧٥٩)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٧).

(٧) أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٧٣، ح٣٧٣٢)، وابن جرير في جامع البيان (٢٤/ ٧٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٩).

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٣٠).

(٩) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٠).

(١٠) جامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(١١) البيت من الطويل، ولم أقف على قائله، وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٢٢٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٧٩) [حطب]، ولسان العرب (١/ ٣٢٢).

أي: بالنميمة[١]. وقال آخر:

فَلَسْنَا كَمَن يرجى الْمَقَالَة شَطْرهُ

بفرق العصاة الرطب والغيَّل اليبس [٢]

ويُقال: فلانٌ يحطب، إذا أغرى وورشى [التوريش: التحريش][٣].

وسميت النميمة حطباً لأنها تلقي بين القوم العداوة والبغضاء، كما أن الحطب يُوقد ويضرم[٤]. قال أكثم بن صيفي لبنيه: إيَّاكم والنميمة، فإنَّها نارٌ مُحْرِقَةٌ، وإنَّ النَّمَّامَ لَيَعْمَلُ فِي سَاعَةٍ ما لا يعمل الساحر في شهر[٥]. وقال الشاعر:

إِنَّ النَّمِيمَةَ نَارٌ وَيْكَ مُحْرِقَةٌ فَعَدِّ عَنْهَا وَحَارِبْ مَن تَعَاطَاهَا [٦]

وقيل: سميت النميمة حطباً لأن الحطب يصير ناراً، والنار سبب التفريق، فكذلك النميمة[٦]. وأنشد الثعلبي:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ حَمَّالُو الْحَطَبْ

هُمُ الْوُشَاةُ فِي الرِّضَا وَفِي الْغَضَبْ

عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَتْرَى وَالْحَرَبْ [٧]

وما هي النميمة التي كانت تمشي بها؟ ذكر السمرقندي أنها كانت تمشي بالنميمة في عداوة النبي ﷺ وأصحابه[٨]. ولا أرى مانعاً من القول بأنها كانت تمشي بالنميمة مطلقاً.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٦).

(٢) البيت من الطويل، ولم أقف على صاحبه، وإنما أورده الثعلبي في تفسيره (١٠/ ٣٢٦).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨)، ولم أقف على صاحب الأرجوزة.

(٨) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢).

والقول الثالث: أن الحطب هنا هو تعيير رسول الله ﷺ بالفقر، وأذاها لـه بالكلام، والعـرب تقول: فلان يحطب علـى فلان، أي: يُغْرِي بـه ويُؤْذيه، فشبه الحطب بالعداوة(١).

ومِمَّـا ذُكِـرَ مِن أذِيَّـةِ أمِّ جميل للنبي ﷺ: ما ذكره أبـو صالح قال: كانت قُرَيْشٌ وأمُّ جميل تقول: مُذَمَّمًا عَصَيْنَا، وأمرُهُ أبَيْنَا. فقال رسول الله ﷺ: «**ومِن لُطْفِ اللهِ أن قريشـًا تَذُمُّ مُذَمَّمًا، وأنا محمد**»(٢).

والقول الرابع: حمَّالة الخطايا والذنوب والآثام في عداوة رسول الله ﷺ(٣)، يُقـال: فُـلانٌ يحطـب علـى نفسـه؛ إذا كان كثير الاكتسـاب للذنـوب(٤)؛ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار(٥).

قال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا(٦).

أمـا حمل الأوزار على الظهور فقد دل عليه القرآن في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام:٣١]. وأما تسـمية الأوزار والخطايا حطبًا فإن العرب تقـول: فلان يحطب على ظهره إذا أسـاء، وفلان حاطـب قريته إذا كان الجاني فيهم، وفلان محطوب عليه إذا كان مجنيـًا عليه(٧).

والقول الخامس: أنها كانت تحمل الكذب(٨).

والقول السادس: أنها كانت تحتطب لبيتها.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٦) مسندًا إلى ابي صالح.
(٣) بحر العلوم (٣/ ٦٣٢)، والهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٨).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).
(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).
(٦) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).
(٧) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).
(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

والراجح: أنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ؛ لأنه هو المعنى الأظهر في الحطب. وهو الذي رجَّحه ابن جرير[(١)]. مع أنَّ بقية الأقوال ليست منفيَّةً.

◆ **سادساً: سبب ذمِّها وتعييرها بأنها حمَّالة الحطب:**

قيل: ليس بذمٍّ، وإنما هو وصفٌ مُجَرَّدٌ، حيث كان لأبي لهب عدة زوجات، ونُعِتَتْ بهذا النعت لتتميز به عن غيرها من الزوجات، ويُعْرَف من المراد[(٢)]. وهذا على القول بأنها كانت تحتطب لبيتها.

وقيل: لأنها كانت تُلقِيه على طريق النبي ﷺ، وقد تقدم.

وقيل: بل لأنها كانت تُعَيِّر النبي ﷺ، وكانت تَحْطِبُ، فَعُيِّرَتْ بأنها كانت تَحْطِبُ[(٣)]. رواه معمر عن قتادة[(٤)]. ولكن عَلَّق الثعلبيُّ على هذا بقوله: «**وهذا قول غيرُ قويٍّ؛ لأنَّ الله سبحانه وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب**»[(٥)]، وسيأتي بيانُ وجهِ ذلك.

◆ **سابعاً: الجزاء من جنس العمل في هذه الآية: يظهر ذلك من وجوه:**

◈ **الوجه الأول:** يَتَّضِحُ إذا قُلْنا: إنَّ أمَّ جميل كانت تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ بالفقر، فَعُيِّرت بعملها الذي كانت تعمله وهو حمل الحطب، أو أنَّها ابتُلِيَت بهذا العمل الذي هو مِن عَمَلِ الفقراء لا الأغنياء[(٦)].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

(٣) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٧٤، ح٣٧٣٣)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢١).

(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٦).

(٥) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٦) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٣٠٠-٣٠١)، والكشاف (٤/ ٨١٦).

◈ **الوجه الثاني**: وعلى قراءة الرفع في {حمَّالةُ الحطب}، جَوَّز الثعلبيُّ أن تكون {امرأتُهُ} مبتدأً، و{حمَّالةُ الحطب} خبرًا، ومُتَعَلِّقُ {حمَّالة} محذوفٌ، تقديره: في النارِ أيضًا مع زوجها[(١)]. وعلى هذا يكون هذا أيضًا فيه الجزاء من جنس العمل؛ فكما أنَّها كانت تحمل الحطب في الدنيا لأذية النبي ﷺ فإنها ستحمل الحطب أيضًا في الآخرة في نار جهنم. وقال ابن عاشور: «فلمَّا حصل لأبي لهب وعيدٌ مُقتبَسٌ من كنيته جُعِل لامرأته وعيدٌ مُقتبَسٌ لفظُه من فعلها وهو حمل الحطب في الدنيا»[(٢)]. وقال الزمخشري: «يحتمل أن يكون المعنى: أن حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع، وفي جيدها حبل مِن ما مُسِدَ من سلاسل النار، كما يعذَّب كل مجرم بما يجانس حالَه في جُرمه»[(٣)].

◈ **الوجه الثالث**: ذكر بعض المفسرين أنها تحمل الحطب لإحراق زوجها، ويتضح الجزاء من جنس العمل في ذلك بأنها عندما كانت عونًا له في الدنيا على كفره، ستكون عونًا عليه في الآخرة بأن تحمل الحطب التي يحترق بها زوجها[(٤)].

◈ **الوجه الرابع**: على القول بأن المراد بأنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس، فيظهر وجه الجزاء من جنس العمل؛ بأنه كما أنَّ النميمة تشعل القلوب بالشحناء شُبِّهَت بالحطب الذي يُشْعِل النار، فكان أن أصبحت أم جميل في النار حمَّالةً للحطب جزاءً وِفاقًا[(٥)].

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٨١٧)، واستفاد من هذا النقل أبو حيان في البحر المحيط (١٠/ ٥٦٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥٠٣).

ولو أراد المتأمِّلُ أن يتأمل في المغزى من كونها تحمل الحطب في الآخرة لَتَوَصَّلَ ذهنُه إلى أمور مخيفة؛ نسأل الله السلامة والعافية، منها:

◈ **الوجه الخامس**: أنها تُعَذّبُ بِشيءٍ مُلَاصِقٍ لجسمها، وهو شديد الحرارة؛ جزاءً لها لـمُلاصقتها عداوة النبي ﷺ والتزام إيذائه.

◈ **الوجه السادس**: أن الحطب الـذي كانت تحمله وفيه شـوكٌ لا بُدَّ أنه كان يؤذيها في الدنيا في الجمع والحمل، فكما صبرت في الدنيا على هذا الأذى الذي يصيبها أُلْزِمَت بحمل الحطب على ظهرها وفيه شوكٌ يؤذيها أبدًا في النار.

◈ **الوجه السابع**: كما أنَّها كانت تتعب في الدنيا في حمل الحطب؛ جُوزِيَت بجنـس عملهـا بأن حمل الحطب أبدًا يُثْقِلها في الآخرة، ولا سـبيل إلى الراحة من ذلك.

نسأل الله السلامة والعافية من بلاء الآخرة والدنيا.

❁ المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾:

◆ أولًا: معنى ﴿جِيدِهَا﴾، وسبب تقديم الخبر:

عُنُقها[1]. وهو قول قتادة[2]، وابن زيد[3].

والعرب تُسَمِّي العُنُقَ جِيدًا، ومنه قول ذي الرُّمَّةِ:

فَعَيْنَـاكِ عَيْنَاهَـا وَلَوْنُـكِ لَوْنُهَا وَجِيـدُكِ إِلَّا أَنَّهَا غَـيْرُعَاطِلِ[4]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وجامع البيان (٢٤/ ٧٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٩).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

وجمع الجيد: أجياد[1]. قال الأعمش:

وَبَيْـــدَاءَ تَحْسِـــبُ آرَامَهَـــا رِجَـــالٌ إِيَـــادٌ بِأَجْيَادِهَا [2]

وفي تقديم الخبر من قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ إفادة الاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عُوِّضَت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدَها في الدنيا فتربط به[3].

◆ ثانياً: هل الآية خبرٌ عن أمرٍ وقع أو أمر سيقع؟

القول الأول: أنه إخبار عن أمرٍ وقع وحصل، حيث كانت أمُّ جميل تضع في جيدها حبلًا من مسد.

وقيل: بل المقصود حيث خنقها الله في الدنيا بهذا الحبل. قاله الضحاك وغيره[4].

القول الثاني: أن الآية ليست إخبارًا عن أمرٍ حصل منها في الدنيا، بل هو إخبارٌ عمَّا سيصنع بها في الآخرة[5].

وبناءً على هذين القولين يُفَسَّرُ قوله تعالى: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾؛ فإذا كان إخبارًا عن أمرٍ حصل في الدنيا؛ فلا بُدَّ أن يكون تفسير هذا الحبل تفسيرًا يتناسب مع ما نراه في حياتنا الدنيوية، وإن كان إخبارًا عن أمرٍ سيقع في الآخرة؛ فلا بُدَّ أن يتناسب مع العذاب الأخروي.

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).
(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤).

◆ **ثالثاً: تفسير ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ إذا كان إخبارًا عمَّا حصل في الدنيا:**

القول الأول: المسد في لغة العرب: الحبل إذا كان من ليفِ الْمُقْلِ[1].

وهو قول الشعبي[2] ومقاتل[3] والسدي[4]. وجمعه أمساد[5].

وقد يُقال لما كان مِن أدبار الإبل من الحبال مَسَدٌ[6].

وأصل المسد: الفتل. وقيل: المسد الليف لأن من شأنه أن يفتل للحبل[7].

ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة الأسر[8]. قال الشاعر:

مَسَـــدٌ أَمَـــرُّ مِـــنْ أَيَانِقِ[9] لَيْســَـــس بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقِ[10]

وإنما وُصِفَ بهذه الصفة تخسيسًا لها وتحقيرًا[11].

القول الثاني: هي جِبَالٌ تكون بمكة[12]. وهو قول ابن عباس[13].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨)، وتأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٣)، ولِيفُ المُـقْل لِحاؤه والمقل -بضم فسكون- اسم شجرة يقال لها الدُّوم، معروفة بجبالها المتينة، ينظر: مجمع بحار الأنوار (٤/ ٦٠٠)، ويقال: بل المقل اسم ثمر تلك الشجرة، كما في القاموس (ص١٠٥٨).

(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٣) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).

(٥) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦).

(٧) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٨).

(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٩) الأَيانِقُ: جمع ناقَةٍ، كما جمهرة اللغة (٢/ ٩٨).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(١١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).

(١٢) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).

(١٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).

وفي معناه ما قاله الضحاك: حبلٌ من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به[١]. وقاله ابن عباس[٢].

القول الثالث: أنها حبال من شجر تنبت في اليمن لها مَسَدٌ، وكانت تُفْتَلُ. قاله ابن زيد[٣].

القول الرابع: عن الحسن: المسد: خيوطٌ صُفْرٌ وحُمْرٌ[٤]. وعنه: أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها[٥]. ذُكِرَت به على وجه التعيير أيضاً[٦].

القول الخامس: قال ابن عباس: كان في عُنُقِها قِلَادَةٌ فيها وَدَعَاتٌ فِي مَسَدٍ[٧].

وقال قتادة: قلادة من ودع[٨].

وقال الحسن: إنما كانت خرزات في عنقها[٩].

وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقها في عداوة محمد[١٠].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٢).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٩).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٤) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).

(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).

(٦) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).

(٧) تفسير القرآن العزيز (٥/ ١٧١).

(٨) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٩) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(١٠) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

القول السادس: عن أبي عبيدة: المسد: حبل يكون من صوف[١].

القول السابع: أنه حبل من ليف النخل، قاله الشعبي[٢]. ومنه قول الشاعر:

أَعُوذُ بِاللهِ مِن لَيْلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى مُضَاجَعَةٍ كَالدَّلْكِ بِالْمَسَدِ [٣]

القول الثامن: أنها قلادة من جوهر فاخر، قالت لأنفقنها في عداوة محمد، ويكون ذلك عذاباً في جيدها يوم القيامة[٤].

القول التاسع: أنه إشارة إلى الخذلان، يعني: أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء، كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد[٥].

◆ رابعاً: تفسير ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ إذا كان إخبارًا عمَّا سيقع في الآخرة:

اختلف المفسرون في هذا الحبل على أقوال:

القول الأول: سلسلة من حديد[٦]. قاله مجاهد[٧].

وقال عروة: سلسلة من حديد ذَرْعُها سبعون ذراعاً[٨]. قال الماوردي: وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة:٣٢][٩].

(١) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٧).
(٢) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٤) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٥) النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٤)، وبحر العلوم (٣/ ٦٣٣).
(٧) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٨) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣، ٧٢٤).
(٩) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).

وقال ابن عباس وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعًا، يدخل مِن فِيها، فيخرج من دُبُرِها، ويُلْوَى سائرُها في عنقها[١].

وقال السدي: خلق الحديد، وهي السلسلة تختلف في جهنم كما يختلف الحبل والدلو في البئر[٢].

قال الحسن: سميت السلسلة مسدًا لأنها ممسودة، أي: مفتولة[٣].

القول الثاني: العصا التي تكون في البَكْرَةِ[٤]. وهو قول مجاهد[٥] وعكرمة[٦] وعطاء[٧].

القول الثالث: حبل من نار. وهو قول مجاهد[٨]، وابن زيد[٩].

قال سفيان: حبل في عنقها في النار، مِثْلُ طَوْقٍ، طولُهُ سبعون ذراعًا[١٠].

القول الرابع: هو حَبْلٌ جُمِعَ مِن أنواع مختلفة.

وهذا القول قاله ابن جرير، أراد به أن يجمع بين جميع الأقوال السابقة، قال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جُمِعَ من أنواعٍ مختلفة، ولذلك اختلف أهلُ التأويل في تأويله على النحو الذي

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٢) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٣) النكت والعيون (٦/ ٣٦٧).
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).
(٥) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٦) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٥).
(٧) انظر: الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).
(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣، ح١٩٥٢٨).
(٩) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٣).
(١٠) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٤).

ذكرنا، ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قولُ الراجز:

وَمَسَـــدٍ أُمِـــرَّ مِـــنْ أَيَانِقِ صُهْـــبٍ عِتَاقٍ ذَاتِ مُـــخٍّ زَاهِقِ

فجعل إمراره من شـتى، وكذلك المسد الذي في جيد امرأةِ أبي لَهَبٍ أُمِرَّ مِن أشـياءَ شـتَّى؛ من لِيفٍ وحديدٍ ولحاء، وجعل في عُنُقِهَا طَوْقًـا كَالْقِلَادَةِ مِن وَدَعٍ. ومنه قول الأعشى:

تُمْسِـــي فَيَصْرِفُ بَابُهَا مِن دُونِنَا غَلْقًا صَرِيفَ مَحَالَةِ الْأَمْسَـــادِ

يعني بالأَمْسَادِ: جمع مَسَدٍ، وهِيَ الحِبَالُ»[1].

◆ **خامساً: الجزاء من جنس العمل في الآية:**

○ **أولًا:** بما أنَّها كانت مشهورة في الدنيا بعداوة النبي ﷺ، فإنه جُعل لها في الآخرة علامة تشتهر بها في نار جهنم، وهو هذا الحبل من المسد[2].

○ **ثانياً:** قـال الماتريـدي: ذُكِر أنها كانت تُمْسِـكُ في عُنُقِهـا حبلًا من ليف سِـرًّا مـن زوجها، وذلك مما لا يتحلى به النسـاء، وليس هو من أسـباب الزينة، فأخبر الله تعالى عن سـفهها وجهلها، ليكون ذلك سـبًا وتعييرًا مجازاة لما كانت تقوله في رسول الله ﷺ[3]. ومما يؤيد ذلك ما ذُكِر في الأحاديث التي ذكرت فيها أنَّ محمدًا ﷺ هجاها.

○ **ثالثاً:** ذكر السـمرقندي: أنهـا حملت ذات ليلة حزمة شـوك لكي تطرحهـا في طريق النبي ﷺ والصحابة، فوضعتها على جدار، وشـدتها بحبل مـن لِيفٍ على صدرهـا، فأتاها جبريـل عليه السلام، ومَدَّهُ خلف الجـدار، وخنقها حتى ماتت[4].

(١) جامع البيان (٢٤/ ٧٢٥).

(٢) تفسير التستري (ص٢٠٩).

(٣) تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٤٢).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٦٣٣)، لم أقف عليه مسندًا.

وقال الضحاك وغيره: في الدنيا من ليف، وهو الحبل الذي كانت تحطب به، فخنقها الله تعالى به، فأهلكها، وفي الآخر من نار[١].

❍ **رابعاً:** أنَّ الحبل الذي اتخذته زوجة أبي لهب لتجمع عليه الحطب سيكون عليها نارًا يوم القيامة.

❍ **خامساً:** على القول بأنَّ الذي في جيدها هو قِلادة فاخرة، فيظهر الجزاء من جنس العمل في أنَّها كانت تريد أن تُنفقها في عداوة محمد ﷺ، كما ورد عن ابن المسيب[٢]؛ فأعقبها الله بذلك عذابًا يوم القيامة حبلاً في جِيدها مِن مَسَد النار[٣].

لذا قُدِّم الجيدُ على الحبل؛ لأنَّ الجيد هو سبب العقوبة والجزاء، فكان هو موطن القِلادة التي كانت تتحلَّى بها. قال ابن عاشور: «وقدم الخبر من قوله: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ للاهتمام بوصف تلك الحالة الفظيعة التي عُوِّضَت فيها بحبل في جيدها عن العِقد الذي كانت تُحَلِّي به جيدَها في الدنيا فتربط به؛ إذ قد كانت هي وزوجها من أهل الثراء وسادة أهل البطحاء، وقد ماتت أم جميل على الشرك»[٤].

.....

(١) الكشف والبيان (١٠/ ٣٢٨).

(٢) تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٢٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٨٣.

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ٣٦٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٩٧).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على التمام والكمال، وفي ختام هذا البحث وقفت على هدايات مستنبطة من سورة المسد ونتائج وتوصيات:

فأما الهدايات المستنبطة فعلى قلَّة عدد آيات هذه السورة إلا أنَّها قد حَوَت الكثير من الهدايات ظهرت لي من خلال معايشتي لهذا البحث، وسأذكر من هذه الهدايات ما يَتَّسِعُ المقامُ لذِكْره:

١- أنَّ هذه السورة تدلُّ على عظمة النبي ﷺ عند ربه، حيث إنَّه أنزل سورة كاملة تُتْلَى إلى يوم القيامة؛ تسليةً له مما وجد مِن عمِّه عدوِّ الله وعدوِّ رسوله ﷺ.

٢- أهمية استخدام الاستفهام التقريري في الدعوة والتعليم، يستفاد ذلك من قول النبي ﷺ: «**أرأيتم إن حدثتُكم أنَّ العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟**» وهذا يبعث المدعوَّ إلى تهيئة نفسِه تماماً لأخذ المعلومة التي يُراد إلقاؤها عليه، وكذلك يبعثه على التفكير والاستنتاج.

٣- الوعظ بالقرآن نصاً أو اقتباساً مِن أنجع المواعظ وأنفعها، كما قال ﷺ: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**».

٤- أنَّ أقرب الناس إليك قد يكون من أسْفَه السفهاء عليك في الدين، ومِن أشدِّهم لك أذى؛ فلتصبر كما صبر نبيُّك ﷺ.

٥- أهمية القوة في إعلان الحقِّ والصدع به، حيث ظهر من خلال سبب النزول قوة النبي ﷺ في صدوعه بقولِ الحق وتبليغِ أمرِ ربه أمام مَن بأيديهم العِزَّةُ والمنعةُ في ذلك الوقت، فقد قام مقاماً لا يقوم به مثله أحد، ولا يستطيع مجاراته فيه إنسانٌ.

٦- أهمية اختيار المكان المناسب عند النصيحة وتبليغ الدعوة، بحيث يختار المكان المناسب للحديث حتى يسمعه القاصي والداني مِمَّن يهمهم سماع هذا الحديث، فقد صعد النبي ﷺ الجبل، وهتف فيه بأعلى صوته منادياً.

٧- تُرْشِد هذه السورة إلى أنَّ الأنساب لا تنفع ولا تُجْدِي شيئاً لِمَن لم يؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويكون ذا عملٍ صالح ينفعه، كما قال ﷺ: «**من أبطأ به عملُه لم يسرع به نسبُه**»(١)، وقال: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً**»(٢). فالله لم يُرِد الخير لعم حبيبه وصفيه، وأراده لصهيب وعمار وبلال وسلمان، فالمعيار شرف الاتباع لا شرف الأنساب(٣)، ورحم الله مَن قال:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه ... فلا تترك التقوى اتّكالاً على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الشركُ الحسيبَ أبا لهب(٤)

٨- دلالة السورة على أنَّ النجاح والفلاح الأخروي قائم على التوحيد، وطاعة الله سبحانه في ذلك، وأنَّ الإحسان إلى الغيرِ مع عدم وجود الإيمان بالله لا يضُرُّ ذلك، بل إنَّ معتقد ذلك يستحقُّ أن يُهَدَّدَ بهذا الاعتقاد. ودلالة ذلك: أن أبا لهبٍ كان يكرم النبي ﷺ ويحسن إليه في بداية الأمر، ويقول لقريش: إن كان الأمر إلى محمد فلي عنده يدٌ، وإن كان لقريش فلي عندها يدٌ أيضاً، لأنه كان يحسن إليها، وبعد أن ظهر أمر الرسول ﷺ أظهر له العداوة وصار يهينه ويؤذيه، فأنزل الله فيه هذه السورة إعلاماً بخسران يده عنده لتكذيبه إياه،

(١) صحيح مسلم (ح٢٦٩٧).

(٢) صحيح البخاري (ح٢٧٥٣)، وصحيح مسلم (ح١٩٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٧).

(٤) البيت منسوب لعلي بن أبي طالب. انظر: ديوانه المنسوب إليه (ص١٢٢).

وخسران يده عند قريش أيضاً، لعدم بقاء يد لهم عند الرسول وإذلالهم لعدم الإيمان به[1].

٩- السورة تُرْشِد إلى عدم تعبيد الناسِ لغير الله، حتى وإن كان الشخصُ قد عُبِّد لغير الله وكان هناك مندوحةٌ عن هذا التعبيد فالأفضل الانصراف عن التعبيد لغير الله إلى الاسم الآخر. واستفيدت هذه الهداية: من تكنية أبي لهب بهذه الكنية؛ فإنَّ اسمه كان «عبد العزى»، فهو مُعَبَّدٌ إلى صنم من أصنام الجاهلية معروف، وتَمَّ ذكرُه بالكنية في هذه السورة، ولم يذكر بالاسم؛ لأنَّ اسمه منسوب إلى صنم[2]، ولم يرد في القرآن كنية غير هذه، رغم كثرة الحديث عن المشركين وذكر أسمائهم، وإنما خُصَّ هذا الاسم بهذا الأمر لِما فيه من تعبيدٍ لغير الله.

١٠- ترشد السورة إلى وجوب الانتباه لما يقوله الإنسان وينطق به؛ فإنَّ الكلمة التي لا يلقي لها بالًا صاحبُها قد يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه. ووجه ذلك: أن أبا لهبٍ لم يزِد على أن قال جملةً من الكلام لم تبلغ سطرًا واحدًا، ولم يُدَبِّج الخُطَبَ والمقالات، ولم يؤلف الكتب والمجلدات في ذَمِّ النبي ﷺ، والطعن في هذا الدين، بل قال كلمة سهلة النطق على الإنسان، لكنها ذات عواقب مخيفة، ونتائج وخيمة، إنَّه لم يتعدَّ أن قال: (تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟) أو نحوها من عبارة بحسب اختلاف العبارات في سبب النزول، ولكنها كانت كفيلةً بإصلائه نار جهنم والعياذ بالله.

١١- والسورة ترشد إلى النعمة العظيمة التي أعطاها الله للإنسان حينما خلق له اليدين، يعمل بها، ويتصرف بهما كيفما شاء، حيث إنَّ هذه الجارحة

(١) بيان المعاني (١/ ١٢٠).

(٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٦٣٢).

هي أهم أعضاء الجسد بالنسبة للعمل. ووجه ذلك: أنَّ العادة العربية جرت في إسناد فعل المرء إلى يديه، حتى وإن كان العمل عمل غير اليدين، إشارةً إلى أهمية اليدين وفضلها على سائر أعضاء الجسد، ونرى ذلك واضحًا جليًا في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [1]، وكما قال تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠][2].

١٢- وكما أنَّ السورة تُرْشِد إلى أنَّ اليدَ هي أهمُّ جارحةٍ في جسم الإنسان، وأكثر ما يكون العمل بها؛ فكذلك هي تُشير إلى أن هذه اليد هي أكثر ما يُدْخِلُ الإنسانُ النارَ إن لم يُراعِ حقَّ الله فيها. يقول محمد الأمين الشنقيطي في ذلك: «فما معنى إسناد التبِّ لليدين؟ الجواب: أنَّ ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل، كما في قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ﴾ [العلق:١٦]، مع أن الكاذب هو صاحبها، ثم إن مثل هذا الأسلوب لا بد فيه من زيادة اختصاص للجزء المنطوق في المعنى المراد، فلما كان الكذب يسوِّد الوجه ويُذِل الناصية، وعكسه الصدق يبيض الوجه ويعز الناصية، أسند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلًا، ولما كان الهلاك والخسران غالبًا بما تكسبه الجوارح، واليد أشد اختصاصًا في ذلك أسند إليها التبُّ. ومما يدل على أن المرد صاحب اليدين، ما جاء بعدها، قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾، أي: أبو لهب نفسه»[3].

١٣- تدلُّ السورة على أنَّ الصفات البدنية التي وهبها الله للمرء لا تنفعه في شيء؛ ما دام الإنسان ليس على خيرٍ وصلاح، لقوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر**

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٥).

(٢) تفسير ابن فورك (٣/ ٢٩٦)، والكشف والبيان (١٠/ ٣٢٣).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٤٤).

إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [1]. ووجه ذلك: أن أبا لهب كان يستمتع بجماله ورونقه، وقد كُنِّي بأبي لهب لحسنه وإشراقة وجهه، وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان[2]، وهذا من الأسباب في العدول عن كنيته الحقيقية -أبو عتبة- وتسميته بأبي لهب إذ لم يكن له ولد اسمه لهب، وسمي بذلك لحسن صورته وإشراقة وجهه وتوقد وجنتيه[3]، لكن هذا التلهب والجمال لم ينفعه في شيء.

١٤- هداية السورة إلى صِحَّة رسالة محمد ﷺ، فمنذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وقرأها النبي ﷺ على الناس؛ ظهر حكم الله على أبي لهب وزوجه بالشقاء وعدم الإيمان، مع العلم أنهما ما زالا في زمن الإمهال، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة[4].

١٥- إرشاد السورة إلى أنَّ الرجل إذا كان له أكثر من اسم، بأن كان له اسم وكنية ولقب ونحو ذلك؛ فمِن اللائق اختيار الاسم المناسب بالمقام. ووجه ذلك: ما حصل هنا عندما اختير من أسماء عمِّ النبي ﷺ اسم (أبي لهب)، وهو لقبٌ له، لأن هذا اللقب -أبو لهب- لقب مناسب تمامًا في حاله ومآله[5]؛ إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب[6]. قال ابن عاشور: «كنية أبي لهب صالحة موافقة لحاله مِن استحقاقه لهب جهنم، وهو أنه من أهل جهنم، وهو

(١) أخرجه مسلم (ح٢٥٦٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٩١٣).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٢٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٧).

(٥) الكشاف (٤/ ٨١٤)، ومفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٥٠)، ومعالم التنزيل (٨/ ٥٧٨)، والبحر المحيط (١٠/ ٥٦٦).

(٦) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٥).

لـزوم ادعائي مبنيٌّ على التفاؤل بالأسـماء»[1]، فكمـا أنَّ كنيته لازمته في الدنيا فكذلك النار تلازمه في الآخرة. يقول الشاعر:

قلمـــا أبصرت عينـــاك ذا لقب إلا ومعنـــاه إن فكرت في لقبه [2]

ولذلك شـاهد من سـيرة النبي ﷺ، فلما أقبل سـهيل بن عمرو في قصة غزوة الحديبية قال الرسـول ﷺ: «**لقد سـهُل لكم من أمركم**»[3]؛ لأن الاسـم مطابق للفعل[4].

١٦- ومنها: إرشاد السـورة إلى أنَّ المسلمين -وخاصة العلماء منهم- في حـال ذمِّ بعـض أعيان النـاس يجب عليهـم أن يكونوا مُعَيِّنيـن لهم حتى لا يشـتبهوا مع غيره. فهذا القـرآن نَعَتَ زوجة أبي لهـب بأنها ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، وهذا النعت جعلنا نعرف أنها: أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب عَمَّةُ معاوية، وإنَّمـا نُعِتَـت بهذا لأنه قد كان لـه زوجات غيرها[5]، فهكـذا في حال كون بعض الألفاظ مبهمة أو مجملة يجب التفصيل والإيضاح؛ حتى لا يُذَمَّ مَن لا يسـتحق الذم، ومثل هذا يستفيد منه المتخصصون في الجرح والتعديل في علم الحديث، والمتحدثـون عن الفرق والمذاهب وكيفية نشـأتها ومَن هم أئمتهـا، فلا بُدَّ من الإيضاح في هذا المقامِ حتى لا يحصل لَبْس، أو خلط المذموم بغير المذموم.

١٧- ومنهـا: دلالة القرآن علـى أنَّ الذنوب التي يعملها المرءُ ما هي إلا حطبٌ يُسَعِّر لنفسِه في نار جهنم، فليُقِلَّ المرء أو ليستكثر؛ فإنَّ وبال ذلك دعاءٌ

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٢).

(٢) البيت بدون نسبة في: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٤٣٨)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٧٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).

(٤) تفسير جزء عم ابن عثيمين (ص٣٤٦).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٨٦).

عليه، فقد قيل: إن قوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها لآخرتها[1].

١٨- تُفْهِم السورةُ أن المرأة قد تتأثر بزوجها ديانة وخُلُقًا، فكما أن الشريعة حثت الرجل على اختيار المرأة الصالحة، فكذلك المرأة عليها أن تختار الرجل الصالح.

◈ **أما أهم النتائج:**

❍ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** قاعدة ثابتةٌ في القرآن والسنة، لا يمكن لمسلمٍ قرأ القرآن بقلبٍ واعٍ أن لا يلمحها وتجذب انتباهه لها.

❍ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** تحمل معنيين، أحدهما عامٌّ يدلُّ على أنَّ مَن عمل أيَّ شرٍّ وسوءٍ فجزاؤه الشر والسوء، ومَن عمِل أي خير وفعل حسن فجزاؤه خير وحسن. والمعنى الثاني يدلُّ على معنى خاصٍّ جزئيٍّ، كالدلالة على أنَّ مَن عفا يُعفَ عنه، وأنَّ مَن استهزأ فسيُستهزأ به... إلخ.

❍ أن قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** تنقسم إلى قسمين: قسمٌ جَلِيٌّ ينتبه له كلُّ أحدٍ ممن يقرأ القرآن بنوعِ تأمُّل، وقسمٌ خَفِيٌّ لا يظهر إلا لِمَن تدبر وتأمَّل جيدًا، ولا يكاد يُوجَد إلا في كلام العلماء المفسرين الكبار المحققين المتدبرين.

❍ لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** صُوَرٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فمنها ما يكون المعاقبة بنفس آلة المعصية، ومنها ما يكون المعاقبة بعملٍ من جِنس العمل... إلخ.

❍ أن كتاب (نظم الدرر) من أهم الكتب التي تعرضت لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)** التي وجهُها خفيٌّ لا يظهر على أحد.

(١) تفسير ابن عطية (٥/ ٥٣٥).

◈ **أما التوصيات:**

إن مبدأ **(الجزاء من جنس العمل)** مبدأٌ يكثر تداوله على ألسنة العلماء، وهو حقٌّ لا شك فيه، لكن ليس كلُّ ما يذكر في تطبيقاته يكون صوابًا، فأدعو الباحثين في جميع التخصصات إلى النظر في هذه القاعدة التي ذُكِرَت في تخصصاتهم؛ سواء في الفقه، أو العقوبات الدنيوية، أو الجزاءات الأخروية، أو غير ذلك، فتدرس كل تلك المسائل؛ لتحرير كل مسألة على حِدَةٍ.

إنَّ الدراسات والمقالات التي تعرضت لهذه المقالة إنما تعرضت لها على وجه العموم، لا على وجه الخصوص كما فعلت هذه الدراسة، ومن المناسب للباحثين والدارسين أن يتوسعوا في دراسة هذه القاعدة في ضوء سُوَرٍ معينة، أو قصص محددة، أو مواضيع مخصصة، على طريق التوسُّعِ والتخصُّص.

يوجد قاعدة مشابهة لهذه القاعدة، وهي: (المعاملة بنقيض القصد)، وكثيرًا ما يُعَبِّر عنها العلماء بـ**(الجزاء من جنس العمل)**، فأوصي بدراسة قاعدة (المعاملة بنقيض القصد) دراسة موضوعية، وبيان الفرق بينها وبين قاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، والوفاق بينهما.

إن صياغة هذا البحث جاءت على طريقةٍ علمية أكاديمية، فيها نوعٌ من الجمود العلمي؛ نظرًا لما تقتضيه هذه البحوث الأكاديمية، فلأجل ذلك أُوصِي أن يستفيد الدعاة والخطباء ونحوهم بالاستفادة من هذا البحث، مع إعادة صياغته بطريقة أدبيةٍ دعويةٍ لتكون أقربَ لنفوس السامعين من عامَّة المسلمين.

أكثر ما يتحدث عنه العلماء في **(الجزاء من جنس العمل)** إنما هو في الأمر الظاهر الذي يكاد يعرفه كل أحد، والذي أُوصي به هو تتبع مسائل

الجـزاء مـن جنس العمل الخفيـة، التي تحتـاج إلى إعمال ذهـنٍ، وغوصٍ في معاني الآيات؛ لاستخراجها، وتحريرها.

قد ورد في البحث صُوَرٌ لقاعدة **(الجزاء من جنس العمل)**، وما زال الأمر يحتاج إلى مزيد بحثٍ وتحرير.

المصادر والمراجع

١. «أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة»، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢. «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣. «الاستيعاب في بيان الأسباب»، لسليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤. «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥. «إمتاع الأسماء بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع»، لأحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦. «أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم»، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

٧. «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، لأبي بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨. «بحر العلوم»، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ).

٩. «البحر المحيط في التفسير»، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٠. «البدعة: ضوابطها وأثرها السيء في الأمة»، لعلي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١١. «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢. «بيان المعاني»، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت١٣٩٨هـ)، مطبعة الترقي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥م.

١٣. «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار»، لفوزان بن سابق بن فوزان (ت١٣٧٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٤. «تاريخ الأمم والملوك»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧م.

١٥. «تاريخ نزول القرآن»، لمحمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصور- مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٦. «تأويلات أهل السنة»، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٧. «التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٨. «التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»، لأبي العباس المهدوي الأندلسي المالكي (ت٤٤٠هـ)، إدارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، قطر.

١٩. «تفسير القرآن»، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٠. «تفسير مقاتل بن سليمان»، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢١. «تفسير ابن فورك»، لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبي بكر (ت٤٠٦هـ)، مجموعة رسائل جامعية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٢. «تفسير التستري»، لأبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣. «تفسير الشعراوي»، لمحمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٤. «تفسير الفاتحة والبقرة»، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٥. «تفسير القرآن العزيز»، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زمَنَين المالكي (ت٣٩٩ه)، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٦. «تفسير القرآن العظيم»، لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٢٧. «تفسير القرآن العظيم»، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٨. «تفسير القرآن من الجامع»، لأبي محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت١٩٧هـ)، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢٩. «التفسير القرآني للقرآن»، لعبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٠. «التفسير الوسيط»، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣١. «تفسير جزء عم»، لابن عثيمين محمد بن صالح بن محمد (ت١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٢. «تفسير عبد الرزاق»، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٣. «تفسير مجاهد»، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٤. «تفسير مقاتل بن سليمان»، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٥. «تفسير يحيى بن سلام»، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٧. «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٨. «التيسير في أحاديث التفسير»، لمحمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٩. «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٠. «جامع العلوم والحكم»، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤١. «الجامع لأحكام القرآن»، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٤٢. «الجنة والنار»، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٣. «حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي»، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.

٤٤. «حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن»، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٤٥. «الحسنة والسيئة»، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤٦. «الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية»، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٧. «ديوان علي بن أبي طالب المنسوب إليه»، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٨. «ذم البغي»، لابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ)، قدم له وحققه وعلق عليه: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٩. «روح البيان»، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبي الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٠. «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥١. «زاد المسير في علم التفسير»، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢. «الزهد والرقائق»، لابن المبارك أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣. «زهرة التفاسير»، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زُهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٥٤. «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥م.

٥٥. «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥/ ١٤١٦/ ١٤٢٢هـ-١٩٩٥/ ١٩٩٦/ ٢٠٠٢م.

٥٦. «سنن أبي داود»، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا.

٥٧. «سنن الترمذي»، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٥٨. «شرح العقيدة الطحاوية»، لعبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٩. «شرح العقيدة الواسطية: ويليه ملحق الواسطية»، لمحمد بن خليل حسن هرَّاس (ت١٣٩٥هـ)، ضبط نصَّه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٦٠. «شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»، لأحمد بن عبد الفتاح زواوي، دار القمة، الإسكندرية.

٦١. «صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي أبي عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة [مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي]، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٢. «صحيح مسلم»، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣. «الصمت وآداب اللسان»، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٦٤. «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر بن سلميان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٥. «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٦٦. «قاعدة الجزاء من جنس العمل وتطبيقاتها في القرآن الكريم»، د. خالد بن عثمان السبت، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، العدد ١٨٥، الجزء الأول، السنة الحادية والخمسون، ١٤٣٩هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص٦٣-١١٠).

٦٧. «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

٦٨. «الكامل في التاريخ»، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق:

عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٩. «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٧٠. «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٧١. «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، لفاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمَّان- الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٢. «مباحث في التفسير الموضوعي»، لمصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧٣. «المجالسة وجواهر العلم»، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين- أم الحصم/ دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ.

٧٤. «مجموع الفتاوى»، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ه-١٩٩٥م.

٧٥. «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٢٠هـ)»، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

٧٦. «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)»، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن/ دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.

٧٧. «محاسن التأويل»، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٨. «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٩. «المختصر في تفسير القرآن الكريم»، لجماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦هـ.

٨٠. «مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد»، لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني التناري (ت١٣١٦هـ)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٨١. «المصنف في الأحاديث والآثار»، لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨٢. «المصنف»، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت/ المجلس العلمي، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨٣. «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٤. «معاني القرآن وإعرابه»، للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٥. «معاني القرآن»، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨٦. «معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ»، لبكر بن عبد الله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٧. «مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير»، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٨٨. «المفردات في غريب القرآن»، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم/ الدار الشامية، دمشق/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٩. «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٩٠. «نعمة الذريعة في نصرة الشريعة»، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحَلَبي الحنفي (ت٩٥٦هـ)، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المسير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩١. «النكت والعيون»، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٩٢. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقي: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٩٣. «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجُمَلٍ من فنون علومه»، لأبي محمد مكي بن ابي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٩٤. «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للواحدي أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

مستخلص البحث ١٣٩

المقدمة ١٤١

أهداف البحث ١٤٢

أسباب اختيار الموضوع ١٤٢

أهمية الموضوع ١٤٣

الدراسات السابقة ١٤٤

خطة البحث ١٤٧

منهج البحث ١٤٩

التمهيد ١٥٠

المطلب الأول: معنى (الجزاء من جنس العمل) في الشريعة الإسلامية ١٥٠

المطلب الثاني: بعض الأدلة الظاهرة لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن .. ١٥٤

المطلب الثالث: بعض الأدلة الخفية لقاعدة (الجزاء من جنس العمل) في القرآن .. ١٥٥

المبحث الأول: بين يدي سورة المسد ١٦٤

المطلب الأول: سبب نزول السورة ١٦٤

المطلب الثاني: المناسبة بين سورة المسد وسورة النصر-السورة التي قبلها- . ١٦٨

المطلب الثالث: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في ضوء القاعدة .. ١٦٩

المطلب الرابع: تنزيل العلماء هذه القاعدة على سورة المسد ١٧٠

المبحث الثاني: استنباط قاعدة الجزاء من جنس العمل من خلال آيات السورة ... ١٧٣

المطلب الأول: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ﴾ ﴿وَتَبَّ﴾ .. ١٧٣

المطلب الثاني: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَدَآ﴾ ١٨٢

المطلب الثالث: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ ١٨٧

المطلب الرابع: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ ١٩٢

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ ١٩٦

المطلب السادس: الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ ٢٠٤

الخاتمة ٢١٣

المصادر والمراجع ٢٢٣

فهرس الموضوعات ٢٣٥